وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المدية يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الموضوع:

العلاقات السياسية المملوكية الأرمينية

(648هـ-784هـ/1250م-1382م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

من إعداد الطالبتين:
*خيرة طرشي
*نبيلة مشرفي

إشراف الأستاذ:
*امحمد بخيتي

السنة الجامعي :1436-1437ه/2015-2016م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المدية يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الموضوع:

العلاقات السياسية المملوكية الأرمينية

(648هـ-784هـ/1250م-1382م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:
*خيرة طرشي
*نبيلة مشرفي

إشراف الأستاذ:
*امحمد بخيتي

لجنة المناقشة:

أستاذ حمزة عبد الصمد	رئيسا
أستاذ حمزة حاجي	مناقشا
أستاذ امحمد بخيتي	مشرفا

السنة الجامعية: 1436هـ-1437هـ/ 2015م-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

النمل: ١٩

نحمد الله عز وجل فبعونه وتوفيقه تم إنجاز هذا العمل ونسأله تعالى المزيد من التوفيق والنجاح.

نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف **أمحمد بخيتي** الذي تحمل معنا أعباء هذا العمل صبرا وإخلاصا، ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته والمعلومات القيمة التي بها قمنا بإتمام هذا البحث.

إلى كل أساتذة الذين شاركوا في تعليمنا ونخص بالذكر أستاذة التاريخ.

كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

إلى كل هؤلاء خالص الشكر والتقدير.

إهداء

إلى من قال عز وجل فيهما: ﴿ ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ – ٢٤

- إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى القلب الكبير والدي "يحي ".

- إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، منبع الحب والحنان، إلى القلب الناصع بالبياض، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي والدتي الحبيبة "فاطمة".

- إلى من أحن وأشتاق إليها دائما أختي وحبيبتي وتوءم روحي زهرة.

- إلى القلوب الطاهرة النقية والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي: حنان، سهام، فاطمة، خديجة الكتكوتة حياة وتسنيم.

- إلى البركة والطهارة جدي "السيد أحمد" وجدي " لخضر"، وجدتي "العالية" وجدتي "أم الخير".

- إلى أعمامي وعماتي: أمحمد، كريم، مصطفى، كلثوم، خديجة، زهرة، حليمة، حياة وعائلاتهم.

- إلى أخوالي وخالاتي: محمد، أحمد، عبد القادر، يحي، فوزة، مسعودة، خيرة، خضرة، فتيحة. وعائلاتهم.

- إلى قناديل الذكريات: ذكريات الصداقة البعيدة في بحر الحياة، إلى الذين أحببتهم وأحبوني صديقاتي: حياة، يمينه، خديجة، جميلة، حنان، وهيبة، هدى، إلهام، خديجة، نصيرة، نبيلة، وإلى كل من يسعهم قلبي ولا تسعهم ورقتي.

خيرة

إهداء

إلى كل من يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا

ـ إلى الشمعة التي أحرقت نفسها عن طيب خاطر لتنير درب حياتي، منبع الحب والحنان أمي الغالية " نجمة ".

ـ إلى من تعب لأرتاح وحرص على نجاحي أبي الحنون "قريشي".

ـ إلى مصباح أفكاري الذي ذلل لي الصعاب وأراد لي العلم والنجاح، وكان لي بمثابة الأب الحارص على ابنته، صاحب الصبر والثقة وأولى الناس باحترامي أخي الكبير "عامر".

ـ إلى أعز الناس على قلبي إخوتي وأخواتي: إبراهيم، محمد، بحرية، نعيمة، نورة، عيشة، وبنات عمتي: نصيرة، غنية.

ـ إلى البراءة والطفولة: عبد الله، أميرة، فارس، أنس، أيمن، هدى، عبد الجليل، عيسى، لبنة، عمر، سيف الدين، أسماء، قطر الندى.

ـ إلى أعز صديقاتي: إيمان، نورة، أمينة، عائشة، حنان، خديجة، وردة، خيرة، صباح، فيوزه، فاطمة، أحلام، هدى، صارة، أسماء، خضرة، مريم، أحلام زبيري، أحلام دبوب، فتيحة.

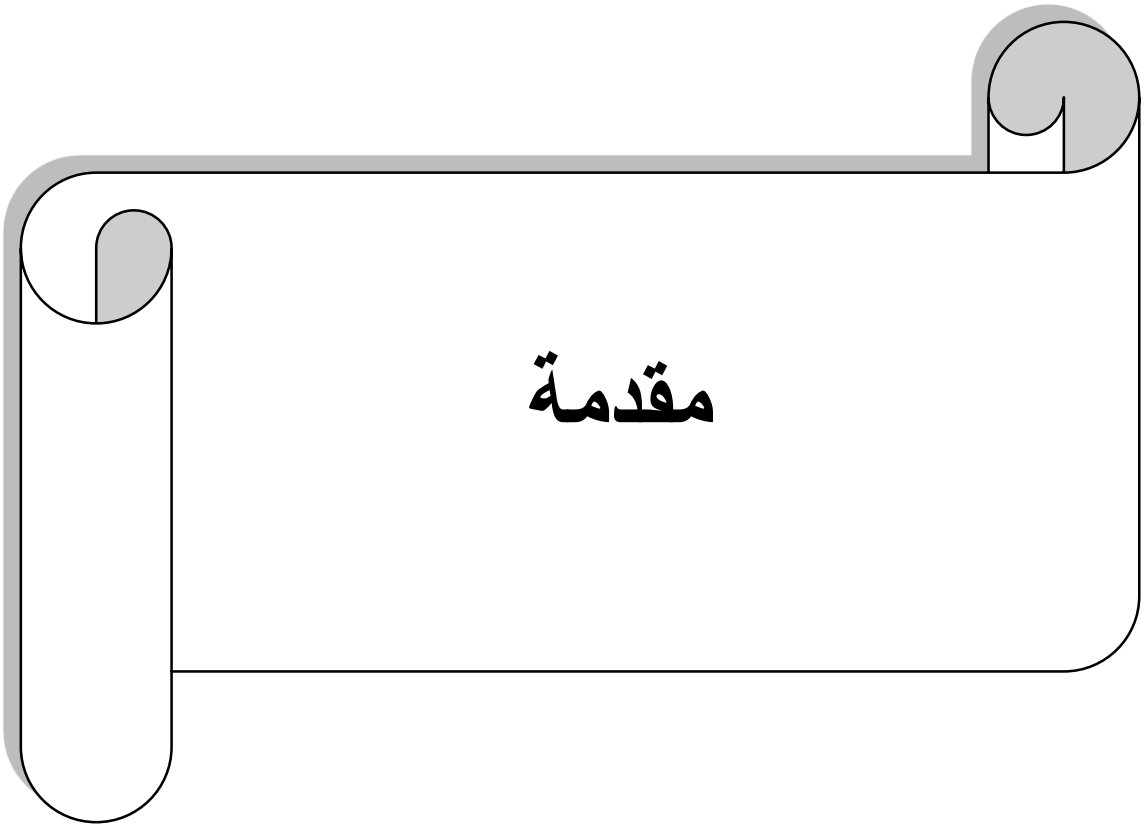
ـ إلى كل طالب علم خاصة طلبة جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية.

نبيلة

قائمة المختصرات:

الاختصار الكلمة

- تر .....ترجمة
- تح .....تحقيق
- ت.....تقديم
- م .....ميلادي
- هـ .....هجري
- ج .....جزء
- مج.....مجلد
- ب.د..... بدون دار النشر
- ب.ط.....بدون طبعة
- ب.س.....بدون سنة النشر
- ص..... صفحة
- ص ص.....عدة صفحات


مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والصّلاة والسلام على رافع لواء الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والدّاعين بدعوته إلى يوم الدين أما بعد:

لا تزال كثير من خبايا في التاريخ وألغازا كثيرة، بسبب الغموض الذي يحيط بالكثير من قضاياه، وهو ما يجعل الدارس لهذه الأحداث والمتابع لهذه المواضيع يلاحظ غموضا يحجب جوانب مهمة من هذا التاريخ، وأحداث ستظل مشكلة على الفهم ما لم توضح وتدرس.

إن العلاقات الأرمينية المملوكية تعتبر إحدى الموضوعات التاريخية التي تستحق البحث والدراسة، فالدارس لا يكاد يظفر ببحث يتناول هذا التاريخ حتى يرجع إلى مواضيع أخرى وعلاقات دولية أخرى، لأن المتاح لديه لا يتعدى أن يكون فصولا متناثرة هنا وهناك، أو نصوصا شحيحة في بطون المصادر قد لا تكون كافية لتقديم تصور صحيح لهذا الموضوع، لهذا فالضرورة تقتضي الاشتغال بالدراسات السياسية، وبيان طبيعة العلاقات التي تربط بين الدول وانعكاساتها.

ظهور المماليك على الساحة السياسية في القرن 7هـ 13م، الذين كانوا في خدمة الأيوبيين وقامت استراتيجيتهم العسكرية في مواجهة القوى التي شكلت خطرا عليها، وكان من بين هذه القوى مملكة أرمينية الصغرى التي كشفت عن نيتها في القضاء على المماليك، وهذا ما جعل السلاطين المماليك وأبرزهم الظاهر بيبرس إلى مواجهة هذه الاستراتيجية بطرق حربية وتبعه من جاء بعده من سلاطين.

كما يعتبر الأرمن من بين الشعوب المتحضرة في آسيا الصغرى تلك المنطقة التي عرفت دورا هاما وفي بعض الأحيان حاسما في تاريخ العالم، لذلك فإن دراسة العلاقات الأرمينية المملوكية ضرورية ليس فقط من منطق العلاقات الثنائية، بل من أجل فهم أفضل للتاريخ الوسيط ومشاكله السياسية.

1–دوافع اختيار الموضوع:

– أسباب ذاتية: الرغبة الشخصية لدراسة هذا الموضوع منذ مرحلة ليسانس، نظرا لما يحتويه الموضوع من خبايا تاريخية متمثلة في طبيعة العلاقات التي تربط بين الدولتين الأرمينية المملوكية، كما أن لتلك العلاقات أثر كبير على الدولتين مما زرع فينا الفضول لمعرفة أصل وطبيعة العلاقات وانعكاساتها، وكل هذه الدوافع الشخصية قادتنا إلى التفاؤل إلى أن كل من يتطلع على هذه الدراسة سيشعر بقيمة هذا الموضوع.

– **أسباب علمية:** يعتبر موضوع العلاقات المملوكية الأرمينية موضوعا أساسيا لتحديد طبيعة الحياة السياسية لكلا من الدولتين، وإبراز أثرهما على الدولتين، ودراستنا هذه التي قدمناها هي التركيز على الأمور التي أهملها الباحثين أو لم يتفطنوا لها أو مرو عليها مرورا عابرا.

2–أهمية الدراسة:

إن لكل دراسة أكاديمية أهمية تدفع الباحث للغوص في تفاصيلها، وتتبع مشكلاتها ومحاولة التوصل إلى نتائج التي تجيب على تساؤلات وتكون الإجابة بطريقة علمية موضوعية، كما تكمن أهمية دراستنا لهذا الموضوع في معرفة ما جرى في هذه الحقبة التاريخية التي حكمت فيها دولة المماليك كل من مصر والشام، وكذا معرفة العلاقة التي تربطهم بالصليبين متكونة في مملكة أرمينية.

3– أهداف الدراسة :

لكل دراسة هدف وغرض يجعلها ذات قيمة علمية، والباحث هو الذي يسعى إلى تحقيق أهداف عامة غير شخصية تكون ذات قيمة فائدة معرفية، فكان هدفنا من هذا العمل هدف علمي يتمثل في التركيز على الجانب السياسي للدولتين والعلاقة السياسية وهو ما قدمناه.

4–الإشكالية:

هي: كيف كانت طبيعة العلاقات السياسية بين دولة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى خلال القرنين (7 هـ–8هـ/13م-14م)، وما هي انعكاساتها؟ وهذا ما جعل عدة تساؤلات تتبادر في أذهاننا:

- كيف كانت مواجهة الغزو المغولي؟
- كيف كان فتح لدولة الأرمن؟
- ماهي استراتيجية كل سلطان مملوكي لمواجهة الخطر الأرميني؟
- ما هو أثر وانعكاسات العلاقات العدائية للدولتين؟

5–المنهج المتبع:

بالنسبة للمنهج ونظرا لطبيعة الموضوع الذي يتطلب دراسة الأحداث التاريخية وتحليلها، فقد كان لزاما علينا أن نتبع المنهج التحليلي الوصفي، وهذا بهدف تحليل ووصف محتوى المادة التاريخية التي وقفنا عليها في مختلف المصادر التي اعتمدنها في دراستنا هذه.

6–خطة الدراسة:

قسمنا دراستنا للعلاقات المملوكية الأرمينية إلى مدخل وثلاث مباحث أدرجنا ضمنها مطالب، مسبوقة بمقدمة إضافة إلى استنتاج، وخاتمة.

المبحث التمهيدي: بعنوان العلاقات الأرمينية العربية قبيل ظهور المماليك، وقد تطرقنا في هذا المبحث التمهيدي إلى علاقة الأرمن بدولة السلاجقة وكذلك علاقتهم بالدولة الأيوبية.

المبحث الأول: بعنوان دولة المماليك، ويندرج تحته ثلاث مطالب، المطلب الأول عرفنا فيه المماليك وتحدثنا فيه عن أقسام المماليك البحرية والبرجية وأيضا تربيتهم وتدريبهم من طرف الأيوبيين، أما المطلب الثاني تأسيس دولة المماليك تطرقنا فيه إلى قيام دولة المماليك وظروف قيامها، والمطلب الثالث بعنوان التصدي للخطر المغولي (معركة عن جالوت) تحدثنا فيه عن أسباب الغزو المغولي للعرب، وعن معركة عين جالوت ونتائجها.

المبحث الثاني: بعنوان دولة الأرمن، يتضمن ثلاث مطالب، المطلب الأول تطرقنا فيه إلى تعريف الأرمن، المطلب الثاني أصل الأرمن تحدثنا فيه على أصل الأرمن وسكان الأرمن ومميزات الدولة الأرمينية، أما المطلب الثالث الفتح الإسلامي لبلاد الأرمن وذلك في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وأيضا في عهد الدولة العباسية.

المبحث الثالث: بعنوان العلاقات السياسية المملوكية الأرمينية وانعكاساتها، ويتضمن هذا المبحث أربع مطالب، المطلب الأول تحدثنا فيه عن العلاقات في عهد الظاهر بيبرس (658هـ676هـ/ 1260م –1277-م)، المطلب الثاني تطرقنا فيه إلى العلاقات في عهد أسرة السلطان قلاوون الألفي (678هـ-784هـ /1279م-1382م)، المطلب الثالث تحدثنا فيه عن العلاقات في عهد حسام الدين لاجين (696هـ-698هـ /1292م-1294م)، أما المطلب الرابع تطرقنا فيه إلى الانعكاسات السياسية وكذا الاقتصادية.

وفي الأخير كتبنا خاتمة استخلصنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها بالإضافة إلى ملاحق مساعدة على فهم الموضوع.

7– تقييم المصادر والمراجع :

اعتمدنا في دراستنا حول العلاقات المملوكية الأرمينية على مجموعة من المصادر والمراجع، والتي أفادنا كل واحد منها بجانب من الجوانب.

أ. المصادر:

1-المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (توفي سنة 845هـ) كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، أفادنا هذا الكتاب كثير من ناحية توضيح عدة أحداث بين الأرمن والمماليك حدثت في سنوات الصراع بين الدولتين.

2-أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (توفي سنة 874هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة أفادنا هذا الكتاب في معرفة سياسة عدة سلاطين مماليك وسياساتها نحو أرمينية الصغرى.

3-الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (توفي أواخر القرن 9هـ،13م) كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، وهو عبارة عن موسوعة جغرافية واسعة في تعريف عدة مناطق.

ب . المراجع:

1-سعيد عبد الفتاح عاشور في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، وهو مرجع اعتمدنا عليه وقد أفادنا كثيرا، لأنه مؤلفه خصص لموضوع العلاقات الأرمينية المملوكية عدة صفحات احتوت على الحروب التي جرت بين المماليك البحرية والأرمن.

2-محمد سهيل طقوش كتاب تاريخ المماليك في مصر وبلاد ال شام648هـ923هـ. وقد أفادنا هذا المرجع في معرفة الأحداث والعلاقات التي جرت في عهد أسرة قلاوون الألفي، وكذا سياسته في التصدي للخطر الأرميني.

3-محمود سعيد عمران في كتابه المغول وأوروبا، وهو كتاب مهم تكلم عن مواضيع غاية في الأهمية من بينها فكرة الحصار الاقتصادي لدولة المماليك والتي كانت من أبرز الانعكاسات التي تولدت عن العلاقات العدائية للدولتين.

8- صعوبات الدراسة :

لا شك أن كل بحث جاد يطرح العديد من الصعوبات، ولعل متعة أي بحث تكمن في صعوبته ومدى التغلب عليها وقد صادفنا في دراستنا هذه بعضا منها ومن بينها:

- عدم وجود مصدر أو مرجع متخصص يتناول موضوع العلاقات المملوكية الأرمينية، بحيث أن المادة العلمية التي تحصلنا عليها بصفة عامة وهذا حسب جهدنا.
- ضيق الوقت المخصص لهذه الدراسة.

مدخـــــل

العلاقات الأرمينية الاسلامية قبل ظهور المماليك:

استطاع المسلمون أن يسيطروا على قليقية "أرمينية الصغرى" قرونا عديدة وجعلوا من مدنها مراكز زاهرة لحضاراتهم وثقافتهم، وجاء ضعف الدولة الإسلامية في المشرق يتزامن مع نهضة كبيرة في الدولة البيزنطية، وهي النهضة التي عبرت عن جوانبها في صورة حربية، وقام الإمبراطور الأرميني (نقفور فوقاس) (963هـ-969هـ) بشن حرب على المسلمين لاسترداد المصيصة [1]و طرسوس وغيرها من مدن أرمينية، وقد هاجم الروم المسلمين في الشام وشمال العراق، وفي جميع هذه الأعمال كانت قليقية قاعدة هامة لأعمال الروم الحربية ضد المسلمين، وهذا ما يعرف بخروج أرمينية على أيدي المسلمين في القرن العاشر ميلادي وحل محلهم مسيحيين من الروم[2].

أ-علاقة الأرمن بالسلاجقة:

مع بداية القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي بدأ نفوذ السلاجقة الأتراك على حساب أرمينية، وما نتج هذا التوسع الكبير في الأقاليم الواقعة شرقي آسيا الصغرى هجرة الكثير من الأرمن من بلادهم الأصلية في أرمينية الكبرى إلى الأقاليم الواقعة غرب شرق الفرات، ثم تراجع الكثير منهم إلى الاستقرار في جنوب طوروس وكان بها زعماء من الأرمن هاربين من توسع السلاجقة.

نزحت أعداد كبيرة من الأرمن إلى إقليم قليقية جنوب شرق آسيا الصغرى وهم الذين كانوا أكثر تعرضا لهجمات السلاجقة، والذين مدوا نفوذهم في جوف آسيا الصغرى وأصبح الأرمن قوة كبيرة، كما كانت الدولة البيزنطية في الربع الأخير من القرن الحادي عشر شبه عاجزة على حماية أقاليمها الشرقية من السلاجقة[3] خاصة، فاتخذوا الأرمن عنصرا قوي ودرعا واقيا للدفاع على الأطراف الشرقية[4]

---

[1]- المصيصة: مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان، كانت من ثغور الإسلام، سميت نسبة إلى مصيصة بن روم بن يقن بن سام بن نوح. انظر: القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ب.ط، ب.س، ص564.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد البحري-بيروت، ب.ط،1977م، ص ص227، 228.

[3]- السلاجقة: تنسب هذه الدولة إلى سلجوق بن دقاق، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن فيما وراء النهرين (سيحون وجيحون) في منطقة واسعة تعرف بتركسان، أي بلاد الترك، وقد أقاموا دولة بزعامة طغرلبك. انظر: عبد السلام الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، مج1، ج3، دمشق دار طلاس، ط1 1414هـ/1994م، ص21، ومحمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1 2001م، ص ص 7، 8.

[4]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص228، 229.

لبلادهم، وهذا ما جعل البيزنطيين يعينون الأرمن حكاما على المدن الهامة مقابل منحهم ضياعا ومساحات شاسعة من الأراضي، لكن سرعان ما جاء إمبراطور جديد "ليفيلاريتوس" الرابع 1071م وأقام إمارة جديدة مستقلة على البيزنطيين، وقد استولى على ملطية التي كانت للسلاجقة واستطاع أن يستولي على أنطاكية سنة 1078م.

اتبع الامبراطور الأرميني "ليفيلاريتوس" سياسة حكيمة فقد اعترف بالإمبراطورية البيزنطية اسميا رغم أنه كان مستقلا عنها من الناحية العملية، وكان حذرا أيضا من السلاجقة وأراد أن يؤمن ممتلكاته من ناحية سلطان السلاجقة ملكشاه واعترف له أيضا بنوع من التبعية، إذ كان مستعدا لاعتناق الإسلام خدمة لمصالحه، وقد استطاع "سليمان بن قتلمش" السلجوقي أن يستولي على أنطاكية سنة 1085م[1].

ويذكر القلقشندي ان الأرمن كانوا يطيعون السلاجقة إذ يقول (....كانت بأيدي المسلمين و أهلها نصارى أرمن ، وعليهم جزية مقررة يؤدونها إلى الملوك ...إلى أن كانت طاعتهم لبقية الملوك السلاجقة ببلاد الروم و العمال و الشحانين على بلادهم من جهة الملك السلجوقي حتى ضعفت تلك الدولة و سكنت شقائق تلك الصولة وانتدب بعض لقتال بعض ...)[2]، وأكد ذلك العمري أن الأرمن كانت خاضعة لملوك السلاجقة و أنهم استولوا على هذه البلاد وتملكها مواريث بني سلجوق و استهلكوها[3] أثناء الحملة الصليبية الأولى كانت بعض المدن مثل : قليقية والمصيصة في قبضة السلاجقة مع تواجد نسبي للأرمن فيها ، وكان الاعتراف للسلاجقة بنوع من التبعية كما فعل الإمبراطور "فيلاريتوس" لاتقاء شر السلاجقة، كما ترجع أسباب عدم السيطرة السلجوقية على الأرمن سيطرة تامة لصعوبة البيئة الجبلية من ناحية فضلا على أنها تقع على الطريق الرئيسي لغزواتهم في آسيا الصغرى، لكن سرعان ما ضعفت الدولة السلجوقية و تركت سيطرتها على الأرمن فاستولى صاحب أرمينية على البلاد و أخذها [4].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص228-231.

[2]–الشيخ ابن العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، دار الكتب الخديوية طبع بالمطبعة الأميرة بالقاهرة، ب.ط، 1322هـ /1914م، ص30.

[3]– شهاب الدين أحمد العمر(ت749): التعريف بمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط1 1988م، ص55.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص232-238.

ب–العلاقات الأرمينية الأيوبية:

نقص الصدام بين أرمينية الصغرى والقوى الإسلامية المجاورة في النصف الأول من القرن الثالث عشر عما كان عليه من اشتباكات السلاجقة معهم، ذلك أنه عند تتويج الملك الأرميني "ليو" على أرمينية كان قد مر خمسة سنوات من وفاة "صلاح الدين الأيوبي" وانقسمت الدولة على أولاده، وقد استطاع الملك "الظاهر غازي" ابن السلطان صلاح الدين أخذ ملك حلب وجميع أعمالها وشمال الشام بعد وفاة أبيه واشتبك مع "ليو الثاني" ملك أرمينية الصغرى[1]، حيث نزل "ليو الثاني" في أنطاكيا لبسط نفوذه وقد خربها[2].

ولكن "الظاهر غازي الأيوبي" سارع لنجدة حلفاءه في أنطاكيا ففر ليو، كما تجدد الصدام بين "ليو الثاني" و"الظاهر غازي" سنة 1205 م، عندما هاجم على دربساك وفشل على الاستلاء عليها، إلا أنه قد ألحق خسائر كبيرة بالمسلمين، وهذا ما جعل "الظاهر غازي" بمشاركة جيوش أنطاكيا ما جعل "ليو" يتراجع وعقدت هدنة مدتها ثماني سنوات، ولكن "كيسروا الأول" سلطان السلاجقة نقض الهدنة مع ليون واشترك مع "الظاهر غازي" صاحب حلب في هجوم مفاجئ على أرمينية الصغرى أدى إلى استلاء المسلمين على "غرقوس" قرب مرعش وفتحت عدة قلاع أخرى[3].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص239، 240.

[2]– ابن واصل جمال الدين محمد (ت697): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، تح: جمال الدين الشياك، ب.د، ب.ط، ب.س، ص140.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص241.

المبحث الأول

– المبحث الاول: الدولة المملوكية:

تمهيد.

المطلب الأول: أصل المماليك:

أولا / تعريف المماليك (لغة – اصطلاحا).

ثانيا / تربيتهم وتدريبهم.

ثالثا / أقسام المماليك (البحرية – البرجية).

المطلب الثاني: تأسيس دولة المماليك:

أولا / ظروف قيام دولة المماليك.

ثانيا / قيام دولة المماليك.

المطلب الثالث: التصدي للخطر المغولي (معركة عين جالوت):

أولا / أسباب المعركة.

ثانيا / معركة عين جالوت.

ثالثا / نتائج معركة عين جالوت.

تمهيد:

نتناول في هذا المبحث تعريف المماليك وكيفية تربيتهم وتدريبهم، وأقسام البحرية والبرجية، والتصدي للخطر المغولي.

عمل المماليك الذين كانوا في خدمة الأيوبيين على تأسيس دولة بفضل كفاءتهم العسكرية، إذ عرفت هذه الدولة فترتين هامتين ألا وهي فترة النضج وكانت تعرف بالدولة المماليك البحرية الأولى، والثانية فترة التدهور.

المطلب الأول: أصل المماليك:

أولا/ تعريف المماليك:

1–لغة: المملوك جمعه مماليك، وهو العبد الذي سبي ولم يملك أبواه والعبد القن هو الذي ملك هو وأبواه[1].

وجاء في معجم الوسيط: أن المملوك هو العبد جمعها مماليك[2]فهذا المصطلح يتعلق بالعبودية والرق والمملوك هو ملكية خاصة لشخص آخر[3]، وهو كلمة حلت محل لفظة "عبيد" ومفردها عبد ومؤنثها جارية التي استعملت في العصر الإسلامي الأول وذلك لأن الإسلام بميوله الإنسانية، كان يرفع شأن الرقيق، إذ لفظة العبيد تعني العبودية والعبد يولد من الرقيق، بينما الملوك يولد من الأبوين حرين، ويباع، كما أن العبد قد يعني إنسانا أسود اللون، والمملوك أبيض اللون في الغالب[4].

ثم يتم تدريبهم عسكريا ليكونوا عدة للحكام الأيوبيين[5] أثر وفاة صلاح الدين الأيوبي، كما زاد عدد المماليك وزادت أهميتهم في الحياة السياسية الأيوبية ودوائر الحكم في مصر والشام من جهة أخرى.[6]

---

[1]– ابن المنظور: لسان العرب، مج10، دار صادر بيروت، ب.ط، ب.س، ص493.

[2]– معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4 1425هـ/2004م، ص886.

[3]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي)، عين الدراسات والنشر، ط1 1998م، ص25.

[4]– نور عبد المنعم ماجد: الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، ب.ط،1418هـ/1997م، ص143.

[5]– الأيوبيين: هم الذين ينتسبون إلى أيوب بن شادي الذي نشأ في دوين وهي بلدة بالقرب من تفليس في أرمينية وهذه القبيلة من أشرف الأكراد، ويذكر بعض المؤرخون إنكار الأيوبيون للأصل الكردي واتصافهم بالعرب. انظر: عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ط1 2006م، ص9.

[6]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص25.

2–اصطلاحا (تاريخيا):

المماليك من عناصر مختلفة من الترك والمغول والصقالبة والاسبان والألمان والتتار[1]والجراكسة وغيرهم من العبيد البيض، ويعتبر الملك "نجم الدين أيوب" المسؤول عن ازدياد نفوذهم[2]، لأنه لم يكن محبوبا من الأكراد الذين يشكلون جيش الدولة الأيوبية، والعجيب أن المماليك كانوا يعتزون بهذه التسمية ولا يرضون عنها بديلا ويرون فيها مجدهم[3]،ومع مرور الوقت أصبح المماليك الأداة الأساسية للقوة العسكرية في الدولة الاسلامية، كما كان مصدرهم إما بشرائهم أو بأسرهم في الحروب أو الهدايا التي كان يؤديها ولاة الأقاليم في بلاد ما وراء النهر على شكل رقيق إلى الخليفة [4].

كما شهدت مصر والشام حكم المماليك طوال فترة تزيد عن ثلاث قرون، بعدما نجحوا في بناء دولة إقليمية عظمى، حكمت مصر والشام والحجاز[5] بشكل مباشر، ومدت سطوتها إلى كافة مستويات العلاقات السياسية والدبلوماسية في عالم البحر المتوسط والأحمر، وأيضا قاموا بحماية[6] عرش السلطان القائم ضد المطامع الداخلية وقد تحصلوا على مراتب عليا في الجيش والادارة[7].

ثانيا/ تربيتهم وتدريبهم:

كان المماليك رقيقا يجلبون من أجناس متعددة، يتم تربيتهم وجمعوا في ذلك بين التربية الدينية والتدريب العسكري وتتميز بالحماسة والغيرة على البلاد والمقدسات الإسلامية[8]، وبعض المماليك

---

[1]– التتار: اسم مشتق من اللغة الصينية اذ كانت هناك قبيلة مغولية يطلق عليها اسم "تاتا"أو "دادا" أو "تاتان" تسكن منطقة مانجوريا، وشمال شرقي منغوليا في ق5م، وكانت اللهجات الصينية تطلق عليها ترتار أو تتار، تعني البرابرة المتوحشين كانت قبائلهم كثيرة، كما أنها تميزت بروح قتالية مما جعلها تهدد القبائل المغولية المجاورة لها أو القريبة منها. انظر: محمد فتحي الشاعر: مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، ب.ط، ب.س، ص ص6، 7.

[2]– قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيون والمماليك، عين الدراسات والنشر، ط1 2009م، ص154.

[3]– محمد عبد الله عودة وآخرون: مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.س، ص126.

[4]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب–عصر المماليك والعثمانيون، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط1 2006م، ص9.

[5]– الحجاز: حاجز بين اليمن والشام وهو مسيرة شهر، قاعدتها مكة، حرسها الله تعالى لا يستوطنها مشرك ولا ذمي، كانت تقام للعرب بها أسواق في الجاهلية. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص84.

[6]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص25.

[7]– تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، مكتبة الإسكندرية–شركة الأمل للطباعة والنشر، ب.ط، ب.س، ص214.

[8]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص26.

الجراكسة الأتراك اقتنوا الآلات الحربية وأدوات القتال كما أجادوا اللعب بالرمح ورمي السهام ونحو ذلك ولحق بهم صانع السلاح زدكاش وعلمهم صنائع الحرب[1].

كما استعملت الصرامة في تدريبهم على فنون الحرب، وقد أقاموا حكما عسكريا استمر على نحو ثلاث قرون، وكانت السلطة تنسب إلى الرجل المتصف بالإقدام والشجاعة والجرأة ويجمع بين الدس والخديعة وكان لكل أمير من المماليك حرس خاص، وجيشه الخاص وهو الذي ينفقه، إذ أن السلطان كلما زادت أمواله زاد عدد ممالكه وإذا عجز عن إرضائهم كان نصيبه العزل والنفي أو حتى القتل[2].

نظرا للأهمية العسكرية والسياسية للمماليك كان السلطان يرسل المماليك الجدد الذين يشتريهم إلى الأطباء لفحصهم وبعد التأكد من سلامتهم البدنية يتم تسكينهم في المعسكرات حسب جنسياتهم إذ كان السلطان الملك الناصر محمد يعتني بهم أشد العناية[3].

ثالثا/ أقسام المماليك:

1-المماليك البحرية:

سبب تسمية هذه الفرقة بالبحرية إلى أن الملك الصالح عندما أنشأ المماليك البحرية بمصر وذلك بعد أن زال عنه ملكه ولم يلبث معه سوى مماليكه فقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه واعتقلهم وأعطى مماليكه إمريات فصاروا بطانته والمحيطين به بدهليزه[4]، وسماهم البحرية لسكنهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل[5] ويوافق ابن خلدون هذا الكلام بقوله :"و منهم البحرية نسبة إلى القلعة التي بنها الصالح بين شعبتي النيل إزاء المقياس بما كانوا حاميتها" [6].

---

[1]- أحمد بن علي المقريزي (ت845): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة-دمشق، ب.ط،1995م، ص212.

[2]- نقولا زيادة: دمشق في المماليك، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت-نيويورك، ب.ط، 1966م، ص64.

[3]- قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيون والمماليك، ص156.

[4]- الدهليز: الدّليج، والدّهليز بالكسر: مابين الباب والدار، فارسي معرب. انظر: ابن المنظور: لسان العرب، مج5، دار صادر بيروت، ب.ط، ب.س، ص 349.

[5]- قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص26.

[6]- عزمي عبد محمد أبو عليان: مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، دار النفائس للنشر والتوزيع-الأردن، ط1 1415هـ/1995م، ص11.

كما كان معظم هؤلاء المماليك من الأتراك المجلوبين من بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود ومن بلاد القوقاز قرب بحر قزوين، وقد أجمع المؤرخون المعاصرون على أن الأتراك القفجاق قد امتازوا عن غيرهم من طوائف الترك بحسن الطلعة وجمال الشكل وقوة البأس، فضلا عن الشجاعة النادرة[1].

2-المماليك البرجية:

ينتسبون إلى شركس اشتراهم السلطان "قلاوون"[2]وقد حكم هؤلاء من سنة 1382م-1517م، وتعود تسميتهم إلى "الأشرف خليل بن قلاوون" الذي قسم المماليك السلطانية إلى طوائف وأسكن طائفة المماليك الشركس في أبراج وكان عددهم آنذاك3700 مملوك، وسلاطين المماليك الشراكسة هم من أصل شركسي ماعدا اثنين هما خشقدم وتمربغا فقد كانا من أصل يوناني[3]، وقد قام "قلاوون" بعزلهم عن غيرهم من الطوائف المماليك الأخرى فقد اهتم بتدريبهم العسكري وعطف عليهم أغدق عليهم من هباته وأمواله الكثير ...كما سار أبناء "قلاوون" على سياسته في الاهتمام بطائفة الجراكسة.

بالرغم من كل هذا ظل شعورهم أنهم أغراب عن البلاد ولم يحاولون الاندماج في المجتمع لفترة طويلة ومنهم من لم يتعلم اللغة العربية على الإطلاق وثمة لهجة تركية كانت سائدة في أوساط البلاط المملوكي وهي لغة القفجاق أو القبيلة الذهبية، وقد استطاع المماليك الجراكسة أن ينزلوا من القلعة العسكرية ليسكنوا القاهرة ويتزوجون من المصريات في عهد السلطان "برقوق" فقد ظلوا في عزلتهم الاجتماعية.

كما أنهم اتخذوا عدة أسماء مثل طائفة المماليك الصالحية والثكنات والظاهرية وأيضا المنصورية والأشرفية، وهذه الرابطة كانت وسيلة لتحقيق الشعور بالأمن للمماليك في وسط المتاعب والمنازعات التي تفرض نفسها على الحياة المصرية، وتكون العلاقة بين الملك والسلطان قوية خاصة إذا كان هو الذي رباهم[4].

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية-القاهرة، ط1996م، ص177.

[2]- قلاوون: الملك المنصور سيف الدين (توفي عام 689هـ/1290م)، سلطان مصر كما يعتبر أحد أبرز السلاطين المماليك على الإطلاق، أخرج الصليبيين من طرابلس 1289م، وقضى في الوقت نفسه على الخطر المغولي الذي كان يتهدد مصر. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص349.

[3]- أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغول والمماليك من ق 7هـ إلى 13هـ، دار الكندي اربد، ب.ط، ب.س، ص ص70، 71.

[4]- قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيون والمماليك، ص ص293،291.

اتصف العصر المملوكي الثاني بجلب كبار السن من المماليك لمصر وجلب نساءهم وأولادهم وأقاربهم وحرص السلاطين المماليك منذ قيام دولتهم أن يسكنون مع مماليكهم في القلعة، وشملت قلعتهم مختلف الحاجيات إضافة إلى توفر المساجد والأسواق وقد أقام الكثير منهم خارج القلعة[1].

وأدى وجود المماليك في السلطة عنصرا فعالا في ظهور نمط حضاري مختلف حيث تلقى هؤلاء تدريبا عسكريا متفوقا، إضافة إلى تعليم ديني مكثف، مما أدى ظهور طبقة من الفرسان المتعلمين، واشتهرت دولة المماليك بمصر فأصبحت في عهدهم ملجأ العلماء والمهاجرين من المشرق الإسلامي بعد سقوط بغداد[2] وهجومات المغول[3].

---

[1]– السيد الباز العريني: المماليك–الفروسية في مصر في عهد المماليك السلاطين 1250م–1518م، دار النهضة العربية–بيروت، ب.ط، ب.س، ص220.

[2]– بغداد: مدينة عظيمة، ومعناه عطية الصنم، وكانت قرية من قرى الفرس، وهي مدينة السلام وقبة الإسلام. انظر: أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وأثار الأول، مج3، تح: أحمد حطيط وفهمي سعد، بيروت، ط1 1416هـ/1996م، ص324.

[3]– حياة ناصر الحجي: صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم كويتي، ط1 1412هـ/1992م، ص11.

المطلب الثاني: تأسيس دولة المماليك[1]:

أولا/ ظروف قيام دولة المماليك:

" الأيام الأخيرة للدولة الأيوبية – معركة المنصورة – نهاية الأيوبيين وبداية المماليك (تورانشاه وشجرة الدر) ":

على الرغم من أن دولة المماليك ورثت ممتلكات دولة الأيوبيين بقيت بعض الآثار من الدولة الأيوبية التي فشلت في استكمال دورها التاريخي وإبعاد اهتمامها عن العدو الفرنجي[2] موجهة طاقتها وقدراتها العسكرية والسياسية للاقتتال فيما بينهم بل وصل الامر بهم أن استعانوا بالفرنج ضد بعضهم.

وفي هذه الظروف خرجت دولة سلاطين المماليك التي نجحت في انتزاع الدور التاريخي من الأيوبيين، وهنا وجدت دولة المماليك نفسها أمام مواجهة خطر مزدوج من جانب سادتهم السابقين من بني أيوب، ومن الفرنج والغرب الأوروبي المتربص بالعالم الإسلامي، واشتعال حروب داخلية بين ملوك الأيوبيين بالشكل الذي أدى إلى استغلال القوى الفرنجية الصليبية بالتدخل لصالح فريق ضد فريق، وتجمعت القوى الأيوبية في بلاد الشام في حلف بائس مع الصليبيين ضد السلطان "الصالح نجم الدين أيوب".

فقد انضم الملك "الصالح إسماعيل" حاكم دمشق والملك الناصر داود حاكم الكرك[3]والملك "المنصور إبراهيم" حاكم حمص[4] إلى الصليبيين ضد "الصالح نجم الدين أيوب" حاكم مصر، وتنازل أولئك الحكام عن منطقة المسجد الأقصى وقبة الصخرة للفرنج، وعدوهم بأن يملكوهم جزءا من مصر وعندما يتمكن هذا الحلف من هزيمة "الصالح نجم الدين أيوب"[5].

---

[1]– انظر: ملحق رقم 1.

[2]– الإفرنج: أفرنجة، أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى، ينسبون إلى جدّ لهم اسمه أفرنجش يقولون فرنك، وهي مجاورة لرومية، والروم وهم في شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية، وكان قبل ظهور الإسلام أول بلادهم من جهة المسلمين جزيرة رودس، قبالة الإسكندرية في وسط بحر الشام. انظر: الحموي: معجم البلدان، مج1، دار صادر بيروت، ب.ط، 1397هـ/ 1977م، ص 228.

[3]– الكرك: قرية في أصل جبل لبنان. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج4، ص 252.

[4]– حمص: مدينة بالشام من أسع مدنها، سميت برجل من العمالق يسمى حمص.انظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1 1975م، ص198.

[5]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص ص12،11.

هكذا تحتم على "الصالح أيوب" مواجهتهم بالسلاح فنجد عددا من الجنود الخوارزمية[1] الذين كانوا قد وفدوا إلى المنطقة العربية بعد أن دمر المغول دولتهم يبيعون خدماتهم العسكرية لمن يدفع أكثر، ونجح "الصالح نجم الدين أيوب" من تدمير جيوش التحالف عام 1244م في المعركة التي اشتهرت باسم "معركة غزة"، وبعد ذلك انقلب الخوارزمية على "الصالح نجم الدين أيوب"، ومن هنا بدأ اعتماده على المماليك يتزايد مما مهد الطريق لظهورهم قوة عسكرية ثم سياسية، فبينما كانت جيوش"الصالح أيوب" تواصل انتصاراتها جاءت أخبار أنه هناك حشود تتجمع تحت راية الصليب في قبرص بهدف غزو مصر والاستيلاء عليها[2]، إلا أنه مرض بعد نجاحه في إعادة قوتها وسلطانها وتوفي أثناء الحملة الصليبية السابعة وكان عمره عند وفاته 44سنة، وعهد لولده "تورانشاه"[3] وقامت "شجرة الدرّ"[4]ومن معها من الوزراء والأمراء بتثبيته[5]، وفي هذه الأثناء استغل "لويس التاسع"[6]الفرصة للهجوم على المسلمين وقد تمكن الصليبيين من الهجوم على المسلمين في المنصورة[7] فجأة فقتلوا الكثير وأخذوا أسلحتهم وقتلوا قائد الجيش "فخر الدين يوسف" وكان ذلك يوم 5 ذي القعدة 647هـ الموافق ل 10 فيفري 1250م،لكن الصليبيين تسرع فريق منهم بالهجوم والتوغل داخل أحياء المنصورة فقطع عليهم المماليك البحرية الطريق بقيادة "بيبرس البندقداري" وقتلوا منهم الكثير يقدر عددهم بالآلاف وآخرون وقعوا في النيل فغرقوا فيه[8].

---

[1]– خوارزم: طولها مائة وسبع عشر درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهي في الإقليم السادس وقيل في آخر الإقليم الخامس، وهي ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج2، ص 395.

[2]– قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين (التاريخ السياسي والاجتماعي)، ص 12.

[3]– تورانشاه: ابن السلطان الصالح نجم الدين تولي العرش بعد وفاة أبيه، فشل في القضاء على الخطر الصليبي وهذا ما أدى إلى زوال الدولة الأيوبية. انظر: علي محمد محمد الصّلابّي: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، مركز السلام، ط1 1430هـ/2009م، ص300.

[4]– شجرة الدّر: كانت جارية من أصل أرميني تركي، اشتراها الصالح أيوب فحظيت عنده بالتقدير فأعتقها وتزوجها، فهي من ناحية الأصل والنشأة من المماليك، حكمت مصر عام 648هـ/1250م، وكان حكمها 80 يوما، فتنازلت عن الحكم لمعز عز الدين أيبك. انظر: عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص12.

[5]– علي محمد محمد الصّلابّي: المرجع السابق، ص300.

[6]– لويس التاسع: ملك فرنسا، تزعم الحملة الصليبية السابعة عام1248م، فأسر في المنصورة بمصر عام 1250م، ومن ثم انقلب إلى فرنسا عام 1254م، يعرف بالقديس. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص 394.

[7]– المنصورة: مفعوله من النصر في عدة مواضع، منها: المنصورة بأرض السند وهي قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج5، ص211.

[8]– أحمد الشامي: صلاح الدين الأيوبي والصليبيين، مكتبة النهضة العربية، ط1 1991م، ص ص249، 250.

بعد هذه المعركة استعد الطرفان لمواجهة الثانية، التي كانت من نتائجها استيلاء الجيش الإسلامي على ثمانين سفينة للصليبيين مما أدى إلى انقطاع وصول المئونة والأغذية إليهم، فقام لويس بالانسحاب إلى دمياط[1]وانتهز المماليك الفرصة فقطعوا عنهم الطريق، فوقع "لويس" في المرض، وكان "تورانشاه" قد توجه إلى دمشق ثم ذهب إلى المنصورة، ومن ناحية أخرى كان الصليبيين يحاولون إقناع المصريين تسليم دمياط مقابل مغادرتهم الأراضي المصرية فرفضوا ذلك واستطاع الجيش المصري أن يطوق الجيش الصليبي ويأخذ الجنود كلهم أسرى كما أسر "لويس التاسع" وأودع قادة الصليبيين معا في سجن كبير [2].

ما إن وصل "تورنشاه" إلى المنصورة أرسل إليها يهددها ويطالبها بأموال أبيه فعمل البحرية على قتله وذلك يوم الاثنين 28 محرم648هـ الموافق ماي1250م، فكان في فارسكور محتفلا بانتصاره ويتهيأ لاستعادة دمياط، فاقتحم "بيبرس"[3]خيمته وتقدم نحوه وخرّ به بالسيف على أصابعه فهرب إلى البرج الخشبي الذي أقامه على النيل ليمضي بعض الوقت فيه ويحتمي به، لحق به أقطاي وبيبرس وغيرهم من الزعماء فأشعلوا بالبرج النار فخاف تورنشاه فألقى بنفسه من البرج فأجهز عليه "الظاهر بيبرس" وقتله بسيفه[4]، وكان ذلك عام 648هـ/1250 فهذا يعني انتهاء عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام وبتولي "شجرة الدّر" السلطنة يبدأ عصر جديد هو عصر سلاطين المماليك [5].

عند وصول "شجرة الدّر" إلى الحكم قامت بإحكام الأمور بيد من حديد فكان يصفها المؤرخون بأنها: "امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة ..."[6].

---

[1]– دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر مخصوصة بالهواء الطيب، وهي من الثغور الإسلام. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص193.

[2]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص ص251، 252.

[3]– بيبرس البندقداري: الظاهر بيبرس، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس: أعظم سلاطين المماليك (658-676هـ/1260-1277م)، المؤسس الحقيقي لدولتهم، يعتبر واحد من أبرز أبطال الإسلام في التاريخ، قاتل الصليبيين، وأنزل بالمغول وعلى رأسهم أحد قوادهم هلاكو، في معركة عين جالوت وأوقف مدهم. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص278.

[4]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص330.

[5]– حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، 2000م، ص153.

[6]– قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي: الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ب.ط، ب.س، ص128.

ما سمع الخليفة "المستنصر بالله أبا جعفر" وهو ببغداد بعث إليهم يخبرهم أنه سيرسل إليهم ملكا إن لم يتوفر لديهم رجال وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا أفلح قوم ولو أمرهم امرأة». فخلعت نفسها من الحكم برضاها من غير إكراه وقد حكمت ثلاث أشهر وقد أشار الأمراء والحكام بأن يولوا "عز الدين أيبك"[1]في السلطة[2].

ثانيا/ قيام دولة المماليك:

1–دولة المماليك البحرية[3]:

أ–عزالدين أيبك التركماني الصالحي:

اعتلى سلطنة مصر يوم السبت تاسع وعشرين ربيع الأخر سنة ثمان وأربعين وستمائة[4]، اعتبر أول ملك مملوكي، حيث كان أمراء المماليك يسكنون جزيرة الروضة في نهر النيل فعرفوا بالمماليك البحرية[5].

كانت "شجرة الدّر" مستولية على "أيبك" في جميع أحواله فلم يلبث أن سئم "المعز" وخاف على نفسه، وكان قد خطب ابنه "بدر الدين لؤلؤ" صاحب الموصل ليتزوجها فدبرت له "شجرة الدّر" مؤامرة لقتله، ولما دخل "أيبك" إلى الحمام في الليل حتى انقض عليه خمسة رجال أشداء فقتلوه سنة 655هـ/ 1257م،إلا أن المماليك استطاعوا أن يعتقلوا الخدم والحريم وتعذيبهم فاعترفوا بالحقيقة[6]، فحاولوا قتل شجرة الدّر لكن المماليك الصالحية أنقذوها وخبئوها في البرج الأحمر لكن زوجة "أيبك" أم ابنه حرصت على الانتقام له، فأرسلت إليها الجواري يضربونها بالقباقيب حتى ماتت[7].

---

[1]عز الدين التركماني الصالحي: هو من المماليك الصالحية، ترقى في خدمة الصالح أيوب حتى أصبح من الأمراء، وقد تولى وظيفة تدل على ثقة السلطان فيه وهي وظيفة الجشكير في البلاط السلطاني وهو الذي يقوم بتذوق الطعام والشراب قبل السلطان خوفا من أن يدس فيه السم، كما أنه تولى الحكم بعد شجرة الدّر 648هـ-655هـ/1250م-1257م. انظر: عبد المنعم الهاشم: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص15.

[2]– عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، مؤسسة الرسالة–بيروت، ب.ط، ب.س، ص288.

[3]– انظر: الملحق رقم 2.

[4]– المكين جرجس بن العميد: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، ب.ط، ب.س، ص39.

[5]– عبد السلام الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ج4، الإسكندرية، ط1 1417هـ/1997م، ص847.

[6]– عبد الرحمن زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي حتى المنصورة، مكتبة أنجلو القاهرة–مصر، مطبعة الكبلاتي، ب.ط، ب.س، ص239.

[7]– أحمد مختار العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية –بيروت، ب.ط، 1995م، ص124.

ب–الملك المنصور نور الدين علي ابن أيبك[1]:

حكم بعد وفاة أبيه وعمره عشر سنوات وجعل الأمير قطز نائبه، ففي عهده استولى التتار على بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" وولده كما تقدموا إلى الشام، إذ رأى "قطز" أن "المنصور" يتدبر بأمر أمه فقبض عليه هو وأمه سنة 657هـ/1259م، واعتقلهم بثغر[2]دمياط ببرج السلسلة، وكانت مدة حكمه سنتين[3].

ج–الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي:

الملك "سيف الدين قطز" بن عبد الله المعزي الثالث من ملوك الترك بمصر تسلطن بعد أن خلع ابن أستاذه الملك المنصور ابن الملك المعز أيبك في 657هـ/1259م[4]، وذلك بعد توافد الأخبار عن تحرك التتار نحو البلاد الشامية وقد بعث الصاحب "كمال الدين عمر بن القديم" رسولا من طرف الملك "الناصر صلاح دين يوسف" والي مصر والشام يطلبه للمساعدة على قتال التتار.

ففي يوم السبت 5صفر 658هـ، قصد "قطز" "هولاكو"[5] فرد عليه مع أربعة من التتار جوابه في كتاب[6]يطلب منه الاستسلام له[7].

---

[1]– الملك المنصور نور الدين: هو ابن الملك المعز عز الدين أيبك، بايعه المعز به بعد وفاة أبيه ولقبوه بالمنصور وكان عمره 15سنة. انظر: عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص23.

[2]– الثغر: هو الموضع على الحدود، يخاف هجوم العدو منه لأنه محصن. انظر: شهاب الدين أحمد النويري (ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج8، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ب.ط، ص89، (إحالة 8).

[3]– أحمد يوسف القرماني: ج2، المصدر السابق، ص268.

[4]– جمال الدين أبي المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 1413هـ/1992م، ص67.

[5]– هولاكو: (هولاغو)، امبراطور مغولي، حفيد جنكيز خان، ومؤسس الأسرة الإيلخانية، اجتاح فارس وقضى على جماعة الحشاشين (عام 1257)، دمّر بغداد وأطاح بالخلافة العباسية عام1258م، غزا سوريا واستولى على حلب ودمشق عام 1260م، ولكن السلطان بيبرس أنزل به هزيمة منكرة في عين جالوت بفلسطين عام 1260م. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص484.

[6]– انظر: الملحق رقم 3.

[7]– ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، تح: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية – القاهر، ط1 1395هـ/1975م، ص269.

أما المصريون قد بدئوا المسيرة في نصف من شعبان وصل جيش الملك المظفر وعلى مقدمته ر"كن الدين البندقداري" فالتقى الجمعان في عين جالوت[1]غربي بيسان، فنصرهم وقتل مقدّم التتار "كتبغا" وطائفة من أمراء المغول، فحدث في دمشق القتل والنهب في النصارى وحرقت كنيسة مريم وبعد ذلك سار ر"كن الدين" خلف التتار إلى حلب[2].

وكان الأمير "بيبرس البندقداري" يأمل أن يقدره "قطز" بعدما أبداه من الشجاعة في محاربة التتار فطلب من "قطز" توليته نيابة حلب التي كان قد وعده بها فعلا لكنه امتنع وتنكر للجميل وبذلك أخفى الملك مكانة "بيبرس" وهي أعظم من أن يتجاهلها إنسان وقد فعل ذلك لكي لا ينافسه في حكم مصر[3]، وكان البحرية يحقدون على "قطز" لأنه شارك في قتل كبيرهم "أقطاي" ولم يكونوا بحاجة إلى مزيد من التحريض ضد "قطز"[4]،كما صمم "بيبرس" على الانتقام من "قطز" فدبر مؤامرة مع زملائه من زعماء البحرية لقتل "قطز" في أول فرصة، وعندما ركب السلطان إلى الصالحية في طريقه إلى القاهرة كان يرغب في الصيد فأقترب منه "الظاهر بيبرس" وطلب منه بنتا من التتار فأعطاه إياه وأظهر رغبته في تقبيل يده وعندما اقترب منه أسقطه من فرسه وانهال عليه بقية البحرية بالسيوف وذلك سنة 1260م[5].

د–الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي: (658هـ-676هـ/1260م-1277م):

كان "بيبرس" تركي الجنس اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وترقى في خدمته فلما مات الملك، قام بيبرس في خدمة ابنه الملك المعظم "تورانشاه" إلى أن قتل[6].

---

[1]– عين جالوت: اسم لبلدة وصفها الجغرافيون العرب بأنها بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، ومازالت آثارها إلى اليوم. انظر: محمد فتحي عاشور: المرجع السابق، ص57.

[2]– شهاب الدين ابن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير دمشق– بيروت، ط1 1416هـ/1991م، ص503.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2 1976م، ص38.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، دار الفكر بيروت – لبنان، ب.ط، 1421هـ/2000م، ص438.

[5]– سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص39.

[6]– المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 1418هـ/1997م، ص520.

بعد ذلك استقبل الأهلون بيبرس استقبال الظاهر المنتصر في حاضرة البلاد أخذ يستميل قلوب الأهالي ويكفر عن السيئات ونجح في اكتسابهم، بدأ يبسط نفوذه داخل البلاد وخارجها[1]، وقام أيضا بالعديد من الفتوحات منها فتح النوبة[2] وأسوان[3] وأيضا أرمية[4]وطمد ودندال وجزيرة ميكاييل وأمسيرة وغيرها من المدن[5].

كما عمل "بيبرس" على إنشاء أسطول قوي لضمان النجاح في الحروب وأيضا لحماية شواطئ البلاد من العدو، وأقام دورا لصناعة السفن المصرية في الفسطاط[6]ودمياط وغيرها من الأماكن، كما أنه حرص على الإكثار من شراء المماليك من بني جنسه وكون منهم جيشا قويا بلغت عدته أربعين ألف فارس.

وعرفت سياسته ضد الصليبيين بالعنف والشدة[7]، واهتم أيضا بالجانب العلمي فقام بإنشاء مدرسة بالقاهرة عرفت بالمدرسة الظاهرية البيبرسية التي فرغ من عمارتها عام 662هـ/1264م، وقسمها إلى ثلاث إيوانات: إيوان الفقهاء الأربعة، وإيوان العربي للقرآن، وإيوان الشرقي لأهل الحديث وكانت[8]
وفاته يوم الخميس 27 محرم 686هـ/1277م، وقد ذكر الكثير عن وفاته إذ هناك من يقول: أنه أعد له شرابا مسموما شربه فمات، وهناك من يقول: أنه عند وصوله إلى حلب مرض وأخذته الحمى، فسقاه الحكماء دواء مسهلا فأفرط في الإسهال، فمات قبل دخوله إلى دمشق بيوم واحد[9].

---

[1]– السير وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، تح: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1 1415هـ/1995م، ص48.

[2]– النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل الشدة في العيش. انظر: الحموي: مج5، المصدر السابق، ص309.

[3]– أسوان: هي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وهي في الإقليم الثاني، طولها57° وعرضها 22°و30د.

[4]– أرمية: اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان، كثيرة الثمرات. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص ص156، 191.

[5]– عز الدين محمد بن شداد: تاريخ الملك الظاهر، دار فرانز سانرنقبسيادن–بيروت، ب.ط، 1403هـ/1983م، ص323.

[6]– الفسطاط: هي مدينة مشهورة في مصر بنها عمر بن العاص لما فتح مصر 20هـ. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص236.

[7]– قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيون والمماليك، ص ص226، 228.

[8]– ولي الدين ابن العراقي (ت862): الذيل على العبر في خبر من غبر، ج1، تح: صالح مهدي عباس مؤسسة الرسالة، ب.ط، ب.س، ص20.

[9]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص ص64، 65.

2–دولة المماليك البرجية[1]:

يعتبر وصولا الجراكسة إلى الحكم حركة عنصرية بدأت في صورة جزئية إذ عملوا مثل غيرهم على إضعاف سلطنة بني قلاوون إذ كثر عدد الجراكسة وأخذوا يصارعون غيرهم من العناصر المملوكية وهي العناصر التركية من أجل السيطرة على الجيش حتى تمكنوا في النهاية من إزالة حكم البحرية الأتراك وإقامة حكم الجراكسة بالقاهرة[2].

من بين ملوكها:

أ–السلطان برقوق (784-801هـ/1382-1398م):

واجه السلطان "برقوق" مشاكل أثناء سلطنته منها مؤامرة عزله وتعيين الخليفة "المتوكل"[3]مكانه لكنه اكتشف ذلك وعزل "المتوكل" وأحل محله "الواثق بالله"[4] سنة 785هـ/1383م، كما قامت ثورة ضده في الشام بزعامة "منطاش" سنة 791هـ/1389م، وقد تمكن الثوار من الاستيلاء على دمشق ثم زحفوا نحو القاهرة فهرب السلطان "برقوق" من القلعة ثم قبض عليه ونفي إلى الكرك فأعاد الثوار إلى العرش "حاجي بن الأشرف شعبان" ولكن النزاع اشتد بين الأميريين "منطاش" و"يلغا" مما أعطى الفرصة إلى "برقوق" لاسترداد سلطته بعد هروبه من الكرك وتجميع جيش الشام فهزم خصومه عند صرخد[5]792هـ/1390م، ثم دخل القاهرة ظافرا، كما واجه "برقوق" المغول بقيادة "تيمورلنك"[6] الذي توجه إلى بغداد واستولى عليها سنة 795هـ/1393م، مما جعل "برقوق" يعد العدة فأرسل إليه "تيمورلنك" يطلب منه الاستسلام ويهدده فرد عليه برقوق بنفس الأسلوب وطرد رسوله من القاهرة، ثم خرج[7]

---

[1]– انظر: الملحق رقم 4.

[2]– حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، تق: مصطفي زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (ب.ط)، 1966م، ص35.

[3]– المتوكل: المتوكل على الله، عاشر الخفاء العباسيين (232هـ-247هـ/847-861م)، عرف بتعصبه لمذهب السنة، ومحاربته للمعتزلة، واضطهاده لشيعة الإمام علي.

[4]– الواثق بالله: الخليفة العباسي التاسع (227-232هـ/842-847م)، ابن المعتصم بالله وخليفته. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص ص417، 492.

[5]– صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر: الحموي: مج3، المصدر السابق، ص 401.

[6]– تيمورلنك :(1336-1405م)، فاتح مغولي مسلم أصيب بسهم في ساقه فلقب ب"تيمورلنغ" أي تيمور الأعرج يعد أحد أعظم الفاتحين في التاريخ وأشدهم قسوة، لقي حتفه عندما كان يعد العدة لفتح الصين. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص150.

[7]– أحمد عويدات وآخرون: المرجع السابق، ص120.

"برقوق" على رأس حملة797هـ/1395م، لإعادة بغداد وصاحبها "أحمد بن أويس" الذي رجع إلى القاهرة هاربا من بغداد ولكنه "تيمورلنك" قد رجع إلى بلاده فعاد "برقوق" إلى القاهرة[1]، وبعدها مرض "برقوق" مرضا شديدا عام801هـ/1399م، فأوصى أن تكون السلطة لأحد من أولاده بعد، وتوفي "برقوق" يوم الجمعة 15 من شوال عام801هـ/1399م، بعد أن تجاوز 60 عاما من عمره[2].

ب–فرج برقوق (780-815هـ/1398-1412م):

تولى السلطة بعد أبيه، وكان في الثالثة عشر من عمره وبعدها سمع بعودة "تيمورلنك" لاجتياح حلب[3] سنة 803هـ/1400م، أخذ يهدد دمشق أسرع إلى الشام ولكنه أدرك حرج موقفه في الشام فعاد إلى القاهرة وترك جيشه يقاسي سوء المصير على يد "تيمورلنك" قرب حلب.

فأخذ "تيمورلنك" دمشق بشروط معينة لكن المغول لم يراعوا هذه الشروط وهذا ما أدى إلى خسارة مكانة فرج في نفوس المواطنين وعمت الفوضى وهذا ما أدى إلى السلطان فرج إلى الاختفاء شهرين فحل محله أخوه "المنصور عبد العزيز" سنة 808هـ/ 1405م[4].

وبعد سبعين يوما من الاختفاء ظهر "فرج" فجأة فدخل القلعة من أنصاره وقبض على أخيه وسجنه وأمسك بزمام الأمور، واستمر الصراع في بلاد الشام حتى استطاع الأمراء والقضاة خلع الأمير "فرج" وتنصيب الخليفة العباسي "المستعين بالله"[5]على السلطة 815هـ/1412م، وقتل فرج برقوق على يد جماعة من البحرية في 815هـ/1412م[6].

فقد واجه سكان دمشق موقفا صعبا فأغلقوا أبواب المدينة وتسلقوا أسوارها ونادوا بالجهاد وتمكنوا من صد هجوم لقوات "تيمورلنك"[7].

---

[1]– أحمد عويدات وآخرون: المرجع السابق، ص120.

[2]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص145.

[3]– حلب: مدينة بالشام، سميت بحلب رجل من العمالقة، وهي مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص196.

[4]– أحمد عويدات وآخرون: المرجع السابق، ص 120.

[5]– المستعين بالله :(219-252هـ/834-866م)، الخليفة العباسي 12(248-252هـ/862-866م)، حفل عهده بالفتن والثورات إلى حدّحمله على خلع نفسه والاستسلام للمعتز الذي ولي الخليفة بعده، ضربه أحد الحجاب ضربا مبرحا فقضى حتفه انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص149.

[6]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص149.

[7]– أحمد عبد الكريم سليمان: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 1985م، ص34.

المطلب الثالث: التصدي للخطر المغولي (معركة عين جالوت):

أولا / أسباب المعركة:

من بينها:

1-إرسال "هلاكو" رسالة[1] تهديد إلى المظفر قطز يحذره فيها عام 658هـ/1260م، عندما كان متوجها إلى مصر وهو في بلاد الشام، وكان المغول قد احتلوا دمشق وبعد ثلاثة أسابيع كانوا قد أتموا السيطرة على بلاد الشام وتقدموا بسرعة إلى فلسطين[2] دون أن يلقوا مقاومة باستثناء حامية نابلس[3] التي صمدت أمامهم فقتل المغول جميع رجالها واستسلمت لهم عجلون وأغاروا على الخليل فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان.

2-حادثة قتل رسل "هلاكو" من طرف السلطان "المظفر قطز" الذي حملوا الإنذار إلى مصر، وهذا لم يأتي في الدين الإسلامي، وكان هولاكو غادر بلاد الشام على عجل إلى العاصمة المغولية قراقورم بسبب موت الخان الكبير "منكو"، تاركا وراءه عشر ألاف بقيادة "كتبغا"، فقام "قطز" بإعدادات قوية فوضع خطة عسكرية تقضي بزحف قائده "بيبرس البندقداري" على رأس قوة استطلاعية لدراسة الوضع.

3-استيلاء المغول على غزة[4]، فاتجه "بيبرس" في شهر شعبان عام 658هـ/ 1260م إلى غزة وكان مسرعا فاصدم بقوات المغول فاستطاع أن يطرد هذه الحامية من غزة، أما قطز فقد اتجه إلى فلسطين في شهر رمضان 658هـ/1260م ليقطع الطريق على "كتبغا" غير أن قطز لم يكن مستعدا أتم الاستعداد للمعركة أما الصليبين فقد خشوا أعداد الجيش المملوكي فقد استعمل "قطز" معهم سياسة الامتيازات وأراد أن يستقطبهم لصفه، فعرضوا عليه أن يمدوه بقوات وطلب منهم التزام الحياد في صراعه[5].

---

[1]- انظر: الملحق رقم 5.

[2]- فلسطين: وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس. انظر: الحموي: مج4، المصدر السابق، ص274.

[3]- نابلس: سميت بهذا الاسم نسبة إلى حيه نزع نابها واسمها لُس وعند الجمع ناب لُس نجد نابلس، وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل. انظر: الحموي: مج5، المصدر السابق، ص248.

[4]- غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد المناف. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص428.

[5]- عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص ص34-38.

ثانيا/ معركة عين جالوت[1]:

عبر "كتبغا" نهر الأردن[2]باتجاه الجنوب الشرقي وقد اجتاز الناصرة[3]ودعم قواته بقوات أرمينية وكرجية ووصل في شهر رمضان إلى عين جالوت كما جمع "قطز" قادته العسكريين، والواقع أن "قطز" أظهر دهاء وحنكة في توحيد كلمة المسلمين في مواجهة المغول، فقام بجمع قواته وأثار في نفوسهم نخوة النصر، فعم الحماس والرغبة في النصر عند رجال قطز وصمموا على الدفاع على بلاد المسلمين وتحرك الجيش المملوكي وصولا إلى عين جالوت[4].

وقد كانت مقدمة الجيش وقيادته من نصيب "بيبرس البندقداري" وكلها من الخيالة لاستطلاع تجمعات المغول وتحركاتهم من جهة ومن جهة أخرى استدراج الجيش المغولي خاصة الجيش الرئيسي، كما اعتمد "قطز" في خطته على إخفاء قواته الرئيسية في التلال القريبة ولم يظهر للعدو إلا مقدمة الجيش التي قادها "بيبرس البندقداري" ووقع "كتبغا" في فخ الكمين الذي أعده له "قطز"، فحمل بكل رجاله على المقدمة المملوكية واندفع للقتال فأسرع بيبرس في التقهقر إلى التلال المجاورة بحسب الخطة الموضوعة فطارده "كتبغا" وما هي إلا لحظات حتى حوصر الجيش المغولي بأكمله والتف جنود المماليك حوله وحملوا على المغول حملة قوية واستمروا في القتال حتى انتصر المماليك وهزم المغول ووقع "كتبغا" في الأسر، فقتله قطز جراء وحشيته مع سكان المدن التي افتتحها المغول وطيف برأس "كتبغا" في كل البلاد حتى يرفع معنويات الناس [5].

انتهت معركة عين جالوت يوم الجمعة 26 رمضان658هـ/1260م وانتشرت أخبار النصر في الشام ومصر وقام أهل دمشق المسلمون بالانتقام من الخائنين المتعاونين مع المغول، إذ أعطى "قطز" كل شخص حقه ولم يعف على أي خائن[6].

---

[1]– معركة عين جالوت: هي معركة جرت بين دولة المماليك والمغول وسميت بعين جالوت نسبة لبلدة. انظر: محمد فتحي الشاعر: المرجع السابق، ص57.

[2]– الأردن: بليدة من بلاد الفور من أعمال الشام، قيل الأردن اسم لأرض بقرب حطين. انظر: القرماني: المصدر السابق، ص312.

[3]– الناصرة: قرية بالشام على ثلاث عشر ميلا من طبرية، وذكر بعضهم أن فيها ولد المسيح عليه السلام، وأهل المقدس ينكرون ذلك. الحميري: المصدر السابق، ص571.

[4]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص ص38، 39.

[5]– محمد فتحي الشاعر: المرجع السابق، ص57.

[6]– عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"، ص40.

ثالثا/ نتائج معركة عين جالوت:

ترتب عن انتصار المسلمين على المغول في عين جالوت نتائج وآثار كثيرة منها:

– تحرير بلاد الشام من المغول فقد أدى انتصار المسلمين إلى هروب التتار كما قام العرب بتطهير الشام وفلسطين وشرق تركيا من المغول ولم يسمع عن التتار في هذه المنطقة لعشرات السنين وبعد ذلك اختفى الظلم والبطش والتشريد وأمن الناس على أرواحهم وأرضهم وأعراضهم

– تحقيق الوحدة بين الشام ومصر بعد تعرضهما للتمزق إثر وفاة الملك الأيوبي "تورانشاه" 648هـ/ 1250م كما تفتت الدويلات الإسلامية الزنكية والأيوبية والخوارزمية والسلاجقة فأتاحت القيادة المملوكية الشابة أن تقوم بتوحيد الشام ومصر.

– خمود القوى المناوئة للمماليك فقد قضي على ما تبقى من الأيوبيين الذين كانت لهم بعض الزعامات داخل المملكة.

– انتصار الإسلام على الوثنية فقد كان انتصار المسلمين على المغول يقضي على الديانات الوثنية التي أطلقت إفرازاتها في المجتمعات العربية.

– فشل التحالف الصليبي المغولي لأن دولة المماليك لعبت دورا في إضعاف بقايا الوجود الصليبي.

– انحصار المد المغولي فبعد هزيمة عين جالوت حاول المغول استرجاع مجدهم[1]، قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾ آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧

– لها أهمية كبيرة في أن نصر جيوش الدولة لازلت في دور التأسيس تتلمس مختلف الوسائل التي تدعم بها أركانها، فجاء هذا الانتصار خدمة كبيرة لهذه الدولة الناشئة وعاملا من العوامل المؤسسة لها إذ أخذ العالم الإسلامي ينظر إلى الدولة المملوكية نظرة كلها إجلاء وعطف[2].

---

[1]– علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ص402-406.

[2]– أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص144.

– معركة عين جالوت هي من المعارك الفاصلة في تاريخ العرب والإسلام إذ أن التتار حتى ذلك التاريخ لم ينهزموا هزيمة فاصلة وقد تلاشت آمال "هلاكو" في الاستيلاء على العالم[1].

– أنقذت هذه المعركة معالم الحضارة الإسلامية الباقية في مصر من الدمار الذي حل بالمشرق الإسلامي على يد المغول ولاسيما في الشام وبغداد.

– علمت العرب درسا في الاتحاد والتآزر، فعندما كان يظهر خطر المغول وتشتد وطأتهم على الشام، كانوا يسرعون إلى تحصين أنفسهم بالتضامن ويسيرون قدما في سبيل الجهاد.

– توطدت العلاقات بين الحكام المغول من المسلمين في القبجاق، وبين المماليك في مصر، وتحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذي كان يتمثل في أسرة "هلاكو" بإيران[2].

من خلال دراستنا لهذا المبحث توصلنا إلى أن المماليك كانوا رقيقا يجلبون من أجناس متعددة وتم تدريبهم على فنون القتال من طرف الأيوبيون، ونظرا للأهمية العسكرية استطاعوا أن يكونوا سلطنة المماليك التي لعبت دورا مهما في التصدي للخطر المغولي الصليبي، هذا التحالف الذي فشل لأن دولة المماليك لعبت دور في إضعاف بقايا الوجود الصليبي خاصة الأرمن، هذه الأخيرة التي قامت بينها وبين المماليك علاقات وهو ما سنتطرق له في الأخير.

[1]– محمد أنطاكي: معركة عين جالوت (658هـ/1260)، دار الشرق العربي–بيروت، ب.ط، 1998م، ص51.

[2]– فؤاد عبد المعطي الصّياد: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية–بيروت، ب.ط، 1980م، ص ص316، 318.

المبحث الثاني

المبحث الثاني: الدولة الأرمينية:

تمهيد

المطلب الأول: التعريف بأرمينيا:

أولا/أصل تسمية الأرمن.

ثانيا / الموقع والحدود.

ثالثا /أهم الصفات والخصائص.

المطلب الثاني: أصل الأرمن:

أولا/أهم الروايات حول الأصل الأرميني.

ثانيا / سكان الأرمن (المجتمع الأرميني).

ثالثا / مميزات الأرمينيين.

المطلب الثالث: الفتح الإسلامي للأرمن:

أولا / في عهد الخلفاء الراشدين.

ثانيا / في عهد الدولة الأموية.

ثالثا / في عهد الدولة العباسية.

تمهيد:

تناولنا في هذا المبحث الدولة الأرمينية وتاريخها، فقد قمنا بإبراز أصل الأرمن وخصائصهم، وكذا التاريخ السياسي أي الفتح الإسلامي لها وذلك بإبراز أهم قادة الفتح من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم إلى غاية الخلفاء العباسيين الذين ذاع صيتهم، وأيضا نلاحظ أن اهتمام العرب بها وكان سبب ذلك أنها الطريق الذي يسلك ما بين طرسوس وبلاد الروم، فأطلقوا عليها تسمية قليقية، كما أنهم جعلوا من ثغورها مراكز حصينة لدفاع عن أراضي دولتهم خاصة أرمينية الصغرى.

المطلب الأول: التعريف بالأرمن[1]:

أولا/أصل تسمية الأرمن:

بكسر أوله أو يفتح، وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني على غير قياس، يفتح الهمزة وكسر الميم.

سميت أرمينية "بأرمينا بن لنطا" بن أومر بن يافث ابن نوح عليه السلام، وكان أول من نزلها وسكنها، وقيل: هما أرمينيتان الكبرى خلاط[2] ونواحيها، وأرمينية الصغرى تفليس[3] ونواحيها وقيل: هي ثلاث أرمينيات، وقيل: أربع[4].

فالأولى: السيسجان[5]وآران وتفليس وبرذعة والبيلقان[6]وشيروان، والثانية: جرزان وصغدبيل وباب فيروز قباذ واللّكز، والثالثة: البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند والنشوى[7].

---

[1]– انظر: الملحق رقم 6.

[2]– خلاط: من مدن أرمينية، في جنوبها بحيرة ملحة أخذة من الشرق إلى الغرب.

[3]– تفليس: أول حدود أرمينية بينها وبين قالي قلا أربع مراحل، وهي على النهر، وبها سوران من طين. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص ص220،139.

[4]– الحموي: مج1، مصدر السابق، ص160.

[5]– السيسجان: هي في الإقليم الخامس طولها 71°، وعرضا 41°و25د، بلدة بعد أران افتتحها حبيب بن مسلمة وسّمها غزاة أرمينية الأولى. انظر: الحموي: مج3، المصدر السابق، ص297.

[6]– البيلقان: مدينة دون برذغة على طريق العراق وهي من عمل الرّان. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص ص87، 119.

[7]– أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ب.ط، 1779م، ص122.

والرابعة: شمشاط[1] وخلاط وقاليقلا[2]وأرجيش[3]وباجنيس[4]، وكانت كور آران[5] وجرزان[6]والسيسجان في مملكة الخزر[7] وكانت كور دبيل[8] ونشوى[9] وسراج طير وبغروند والبسفرجان[10] وخلاط في مملكة الروم[11]يتولاها صاحبها "أرمناقس" وسمته العرب "أرميناق" ففتحها الفرس وضموها إلى ملك "شروان" والتي بها صخر "موسى" عليه السلام التي فيها عين الحيوان[12].

وقيل سميت أرمينية باسم "أرمن قومس ياشور" الملك، فسمي البلد بإسمه وأطلق إسم بني الأرمن على أولاده: أردبيل وورثان وبلقان[13].

---

[1]– شمشاط: مدينة في أرمينية، وهي أول حدود أرمينية، وهي على الفرات ومنها إلى معطيه51 ميلا. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص345.

[2]– قاليقلا: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة. انظر: الحموي: مج4، المصدر السابق، ص299.

[3]– أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط، أكثر أهلها أرمن نصارى، طولها66°وثلث وربع، وعرضها 40°.

[4]– باجنيس: وهوبلد قديم يذكر مع أرجيش من أعمال خلاط وهو من أرمينية الرابعة، فتحها عياض بن غنم، وهي في الإقليم الخامس، طولها 70°ونصف، وعرضها 40°وسدس. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص ص144-314.

[5]– آرّان: ثلاث مواضيع، الأول: ناحية بين أذربيجان وأرمينية، والثاني: قلعة من ناحية قزوين، والثالث: اسم لحران المدينة المشهورة. انظر: القرماني: مج3، المصدر السابق، ص300.

[6]– جرزان: اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس، حكى ابن الكلبي عن الشرقي بن قطامي جرزان وآران، وهما مما يلي أبواب أرمينية. أنظر: الحموي: مج2، المصدر السابق، ص125.

[7]– مملكة الخزر: هم جيل عظيم من الترك بلادهم خلف باب الأبواب، وهم صنفان: صنف أصحاب الجمال الفائق وصنف سمر، وهم مسلمون ونصارى ويهود ومن لا دين لمعبود، ولكل قوم حاكم، وأن ملكهم إذا جاوز الأربعين عزلوه وقتلوه، وقالوا هذا قد نقص عقله، ولا يصلح لتدبير الملك. انظر: القرماني: المصدر السابق، ص334.

[8]– دبيل: مدينة بأرمينية تتاخم آران، كان ثغرا فتحه حبيب بن مسلمة في أيام عثمان بن عفان. انظر: الحموي: مج2، المصدر السابق، ص439.

[9]– النشوى: يقال هي من آران تلاصق أرمينية وهي المعروفة بين العامة بنخجوان ويقال نقجوان، قال البلاذري: النشوى قصبة كورة بسفرجان. انظر: الحموي: مج5، المصدر السابق، ص 286.

[10]– البسفرجان: كورة بأرض آران، ومدينتها النشوى، وهي نقجوان. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص422.

[11]– مملكة الروم: مملكة واسعة وبلاد متسعة عظيمة، وهم من نسل عيص بن اسحاق عليه السلام، وكانوا قديما على دين الفلاسفة إلى أن ظهر لهم دين النصرانية، ويقال لملوكهم القياصرة، وكانوا من أوفر الملوك علما وعقلا وأكثرهم عددا وعُددا، وبلادهم بلاد برد، وهي كثيرة الخيرات. انظر: القرماني: مج3، المصدر السابق، ص ص331، 332.

[12]– أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص123.

[13]– الحميري: المصدر السابق، ص25.

يذكر المقدسي: على أن أرمينية كورة جليلة وسماها "أرميني بن كنظر" بن يافث بن نوح، وهي كثيرة الخصائص، قصبتها دبيل ومن مدنها بدليس[1]، خلاط، أرجيش، بزكرى، خوى[2]، سلماس[3]، أرمية، مراغة[4]، قاليقلا...إلخ[5].

وقيل إن أرمينيا تعرف بهذا الاسم حوالي عام529 ق.م، كانت تسمى بلاد أورارتو أو أورارتو أو آرارات أو خلدة وغيرها من الأسماء وذلك نسبة إلى الأقوام التي سكنتها قبل الأرمن.

ورد أن الشعبين الأورارديين اتجهوا قبل الأرمن بسنين عديدة بعد انفصالهم عنهم إلى الأراضي آرارات (أرمينيا) ثم لحق بهم الأرمن ثانية وامتزجوا بهم من جديد.

كما استعمل الجيورجيون اسم أرمينيا لدلالة على جيرانهم الجدد في عام 550ق.م أطلق المؤرخ الإغريقي هيكاتايوس الشعب الأرميني اسم أرمينوي، وكان هذا الاسم الأول للأرمن[6].

ثانيا / الموقع والحدود:

أرمينية اسم لصقع واسع عظيم من جهة الشام، حدها من برذعة[7] إلى باب الأبواب[8] ومن الجهة الأخرى بلاد الروم وجبل القبق[9] وهي صغرى وكبرى[10].

---

[1]– بدليس: بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط، وطولها 65°، وعرضها 38°. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص ص358،359.

[2]– خوي: من أذربيجان، وقيل خُويّ والنسار موضع واحد. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص224.

[3]– سلماس: مدينة بأذربيجان بين تبريز وأرمية، بها ماء من اغتسل به ذهب عنه جذام. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص391.

[4]– مراغة: مدينة كبيرة مشهورة من بلاد أذربيجان وهي كثيرة الأهل، غزيرة الأنهار والأشجار. انظر: الحموي: مج5، المصدر السابق، ص 93.

[5]– شمس الدين أبي عبد الله محمد المقديسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، ط2 1906م، ص382.

[6]– يوسف ابراهيم الجهماني: تركيا والأرمن، دار دوران للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 2001م، ص8.

[7]– برذعة: بالدال المهملة وبالذال أيضا، هي مدينة أرمينية، وطول برذعة ثلاث أميال في عرض مثلها، وهي أم بلاد الران. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص87.

[8]– باب الأبواب: مدينة على البحر الخزر في وسطها مرسى للسفن. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت–لبنان، ب.ط، 1996م، ص291.

[9]– جبل القبق: وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللاّن، وهو آخر حدود أرمينية. انظر: الحموي: مج4، المصدر السابق، ص306.

[10]– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج2، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1 1407هـ/1987م، ص377، (إحالة 1).

ويذكر أن أرمينية تمتد شمالا إلى جبال القبق(القوقاز) والبحر الأسود، وبعض إقليم الجزيرة جنوبا، وبحر الخزر[1] أو قزوين وهضبة أذربيجان شرقا، وآسيا الصغرى[2] والجزيرة[3] غربا، وتشمل أرمينية على الأراضي الجبلية التي توجد فيها أنهار أهمها: الدجلة[4] والفرات[5] في الجنوب، ونهر الكرّ [6]ونهر الرس[7]في الشمال[8].

يقول المهندس هوري عزازيان: أن أرمينية هي البلاد الجبلية المترامية الأطراف التي تحد غربا بأسيا الصغرى وتحدها جنوبا بشرق شرقا هضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبي لبحر الخزر، وتحدها من الشمال والشمال الغربي البلاد الواقعة على شواطئ بحر بنطس (تسمى اليوم جانيق ولازستان) وبلاد القوقاس التي يفصلها على أرمينية نهر الكرّ وريونه، ويحدها من الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد الجزيرة (البلاد الواقعة في حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى) الذي يمتد حتى بلاد آشور[9].

---

[1]– بحر الخزر: فإن شرقيه بعض الديلم وطبرستان وجرجان وبعض المغازة التي بين جرجان وخوارزم، وغربيه الرّان وحدود السرير وبلاد الخزر وبعض مغازة الغزّية، وشماليه مغازة الغزّية بناحية سياه كويه، وجنوبيه الجيل والدّيلم وما دانى ذلك. انظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 327.

[2]– آسيا الصغرى :(الأناضول) عبارة عن هضبة مرتفعة تأخذ في الارتفاع من ساحل بحر ايجه في الغرب حتى جبال أرمينية في الشرق. انظر: د/أحمد أمين سليم: تاريخ العراق–إيران – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، 2000م، ص453.

[3]– الجزيرة: بلاد تشمل على ديار بكر ومضر وربيعة، وإنما سميت جزيرة لأنها بين دجلة والفرات، ينسب إليها الإمام الجزري. انظر: القرماني: مج3، المصدر السابق، ص348.

[4]– الدجلة: هي تخرج من بلاد آمد من ديار بكر، وهي أعين ببلاد خلاط من أرمينية من إقليم الخامس من موضع يعرف بحصن ذي القرنين، وتصب إليها أنهار سريطوساتيدما الخارجة من بلاد أرمينية. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص233.

[5]– الفرات: له اسم آخر هو فالاذروذ لأنه بجانبالدجلة كما بجانب الفرس، وفي أصل الكلام العرب أعذب المياه، ومخرج الفرات فيما زعموا من أرمينية ثم من قاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم ويجئ إلى كمخ، يخرج إلى ملطية ثم سميساط ويصب إليه أنهار صفار نحو نهر سنحة ونهر كيسوم والبليخ حتى ينتهي إلى قلعة نجم. انظر: الحموي: مج6، المصدر السابق، ص347.

[6]– نهر الكرّ: نهر عذب مرئ خفيف يخرج من ناحية جبل قبق على حدود جنزه وشمكور، مقبلا من ناحية تفليس وقبل أن يمر عليها يمر على قلاع في بلدان الكفر منصبا إلى بحيرة الخزر على نواحي برذعة.

[7]– نهر الرس: أيضا هو عذب خفيف يخرج من نواحي أرمينية الداخلة حتى ينتهي إلى باب ورثان، ثم يمرّ فيقع بعضه في الكرّ وبعضه في بحيرة طبرستان، وهو الرس الذي ذكر الله ما فعل بقومه. انظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص296.

[8]– صابر محمد دياب: المرجع السابق، ص48.

[9]المهندس هوري عزازيان: الجاليات الأرمينية في البلاد العربية (لبنان– العراق– فلسطين– الأردن–مصر)، دار حوار للنشر والتوزيع، ط1 1993م/2000م، ص13.

فقد جمع بين أرمينية وآران وأذربيجان[1]وسبب ذلك لصعوبة إفراد إحداهما عن الأخرى، فيحيط بها من الغرب حدود بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة، وجهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق، ومن الشرق بلاد الجيل[2] والدّيلم[3]، إلى بحر الخزر، ومن جهة الشمال بلاد القيتق[4].

حدود أرمينية حسب التقسيم القديم:

حدّها من الجانب الشرقي هو بحر كسب وأرض الفرس ومن الجانب الجنوبي أثوريستان وبين النهرين[5]وأرض السريان وكيليكيا ومن الجانب العربي آسيا الصغرى ومن الجانب الشمالي خاغديك وكوغكيس والكرج[6]والاغفانيين، وطولها 67° وعرضها 42° وأما نظرا إلى الحساب الجديد الذي عليه الاعتماد تحد بلاد أرمينية إلى 20000ميلا وتقسيم إلى قسمين أرمينية الكبرى التي سكنها "يافث بن نوح"[7] وأرمينية الصغرى التي ملكها "أرام بن هارمايوس" بن كيغام بن أماسيوس بن أرماييوس بن هايكيوس بن طوركوميوس بن كاميروس بن يافث بن نوح البار، فهذا القسم هو خارج أرمينية الكبرى ويقسم إلى أربعة أجزاء أرمينية الأولى والثانية والثالثة والرابعة فهذه البلاد قد ساء عليها الملك أرام أخضعها تحت حكمه بواسطة أتعابه وقوة ذراعه عندما خرج من أوطانه الأبوية وقصد أن يوسع ملكه[8].

---

[1]– أذربيجان: هي كور تلي الجبل من بلاد العراق وهي مفتوحة الألف، تلي كور أرمينية من جهة الغرب، ينسب إليها أذربي. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص20.

[2]– الجيل: قرية من أعمال بغداد تحت المدائن بعد زرارين يسمونها الكيل، وقد سماها ابن الحجاج الكال. انظر: الحموي: مج2، المصدر السابق، ص78.

[3]– الدّيلم: البلاد الواقعة جنوب غرب بحر القزوين، وهو اسم للبلاد واسم للشعب الذي يسكنها. انظر: محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر بيروت–لبنان، ط1 1410هـ/1990م، ص78.

[4]– الشيخ ابن العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، مج4، المصدر السابق، ص353.

[5]– بين النهرين: تثنية نهر: كورة ذات قرى ومزارع من نواحي شرقي دجلة بغداد، وبين النهرين أيضا: كورة كبيرة بين بقعاء الموصل، تارة تكون من أعمال الموصل، وهي الآن للموصل، ولها قلعة تسمى الجديدة على جبل. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص535.

[6]– الكرج: مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن وتعرف بكرج أبي دُلَفَ. انظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص313.

[7]– يافث بن نوح: هو ثالث أبناء نوح وهم: سام وحام ويافث، يقال إنه تزوج قبل الطوفان وأنجب سبعة أبناء بعده، كما أنه يعتبر جدّ الشعوب الهندية الأوروبية. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص503.

[8]– القس انطوان خانجي: مختصر تواريخ الأرمن، طبع باورشليم، ب.ط، 1868م، ص8.

أما بالنسبة إلى حدود أرمينية في أيام الفتح الإسلامي:

فإنها تقع جنوب القوقاز في الشمال من هضبة الأناضول، تمتد من مدينة بردغة إلى باب الأبواب شرقا يحدها جبل القبق وهو القفقاس الكبرى حاليا من جهة الشمال، وبلاد الروم غربا، وبلاد العراق[1]وبعض حدود الجزيرة جنوبا، وكانت حدودها الغربية بخاصة تقررها السائدة بين الفرس والروم[2].

ثالثا/ أهم الصفات والخصائص:

– من عجائبها أن فيها نهر لا يستطيع أحد أن يرى ما فيه أو يعلم ما يوجد به، وإذ وضع بجانبه قدر نضج ما بداخله، كما يوجد بأرمينية ماء حامض إذا وضع في إناء عذب وشرب[3].

– أيضا من عجائبها فيها بحيرة تحتوي على سمكة يتخذ من دهنها شمعة وتشعل في طرف سفينة فارغة، فتطفوا على الماء، فإن السمك تأتي لنور ذلك الشمع، وترمي بنفسها في السفينة حتى تمتلئ[4].

–كما احتوت أرمينيا على عدة أبواب منها سكى والقميران وأبواب الدودانية وهي اثنا عشرة بابا منها قصر من حجارة كما شهدت عدة قلاع منها قلعة الكلاب والشاهبوش وسكن هذه القلاع أهل البأس والنجدة وبقيت أرمينيا بأيدي الروم حتى جاء الإسلام[5].

– بها قبر صفوان بن المعطل صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام وهو قرب حصن زياد عليه شجرة لا يعرف أحد من الناس ماهي ولها ثمار تشبه اللوز يؤكل بقشرته وهو طيب جدا.

– كما عرفت أرمينيا بحكم موقعها الجغرافي العديد من طرق التجارية الدولية التي ربطت بين تجارة الهند وبلاد فارس[6]من جهة، وبلاد ما بين النهرين واليونان وبيزنطة من جهة ثانية.[7]

---

[1]– العراق: معناه الجرف أو الساحل، يقع العراق في آسيا الغربية، في المنطقة التي عرفت قديما باسم "بلاد مابين النهرين"، حدّها من عبّادان إلى الموصل طولا، ومن القادسية إلى حلوان عرضا. انظر: كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تح: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2 1985م، ص40. وهدى فرحات: قصة وتاريخ الحضارة العربية (العراق–الأردن)، Edito creps.int-1998-1999، ص5. ومحمد مرتضى الحسني الزبيدي: تاج العروس، مج26، تح: عبد الكريم العرباوي، مطبعة الحكومة، ب.ط، 1410هـ/1990م، ص143.

[2]– محمد شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار بن حزم، ط1 1419هـ/1998م، ص21.

[3]– الحميري: المصدر السابق، ص26.

[4]– القزويني: مج3، المصدر السابق، ص293.

[5]–الحموي: مج1، المصدر السابق، ص ص160، 161.

[6]– بلاد فارس: الناحية المشهورة التي يحيط من شرقها كرمان، ومن غربها خوزستان، ومن شمالها مغازة خراسان، ومن جنوبها البحر. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص232.

[7]– القس أنطوان خانجي: المصدر السابق، ص ص7، 8.

– اقليم أرمينية من أحسن وأعظم ما يوجد في آسيا ومن أسباب ذلك ارتفاع جباله وحسنها.

– أقدمية السكان فيها إذ تعتبر هذه الأرض التي سكنها نوح[1] وأولاده وماشيته بعد الطوفان ومنها تكاثرت هذه السكان وتفرقت في البلدان.

– شرف سكانها لأنها صدرت من رجل واحد شريف النسب ألا وهو يافث بن نوح البار.

– اتساع رقعتها إذ أنها تقسم إلى قسمين كبرى وصغرى[2].

– تتميز أرمينية بأربع مواضع: الأول: بلدة حصينة بأذربيجان، كثيرة الثمرات واسعة الخيرات، وبقربها بحيرة، وهي كريهة الرائحة، والثاني: تفليس، والثالث: مدينة نقجوان، والرابع: مدينة خرت، برت، وماتليها[3].

– وأخيرا إن أرض أرمينية تسمو بالشرف على الغير لكثرة شعوبها وحسن صفاتهم، ثم لأجل وجودة مناخها وحسن موقعها وغزارة ثمارها وصحة أجسام أهاليها، لذا كانت أعين الأعداء عليها[4].

---

[1]– نوح: هو أحد آباء الجنس البشري اختاره الله لبناء الفلك ونجاه هو ومن فيها من إنسان وحيوان من الطفان العظيم، ولد بعد خمسمائة سنة من عمره، ولده سام وحام ويافث وأمهم بنت أنوشي بن أخنوخ. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص458. وأبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواراري: كنز الدرر وجامع الغرر "الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة"، ج2، تح: إدوارد بدين، بيروت، ب.ط، 1414هـ/1994م، ص73.

[2]– القس أنطوان خانجي: المصدر السابق، ص ص7، 8.

[3]– القرماني: مج3، المصدر السابق، ص299.

[4]– القس أنطوان خانجي: المصدر السابق، ص8.

المطلب الثاني: أصل الأرمن:

أولا / أهم الروايات حول الأصل الأرمني:

منذ عصور قديمة عرفت آسيا الوسطى العديد من القبائل ذات أصل الآري عرفت باسم القبائل والشعوب الهندوأوروبية متجهة نحو الغرب حتى شواطئ الأطلنطي، وانتهت هجرة هذه الشعوب والقبائل إلى انقسامها إلى مجموعتين. فما هي هذه المجموعتين وما أصل سكانها ؟[1].

تعددت آراء المؤرخين حول أصل الأرميني، فكانت هناك عدة روايات تتحدث عن ذلك فمنها:

1-رواية المؤرخ موسيسالخوريني التي تقول:

أن الأرمن من الشعوب الهندو-الأوروبية "الأسيوية" اعتمدت في روايته على تقاليد الشعبية الأرمينية، التي يعتزون بها ويحفظونها كإرث حضاري دائم، كما أنه يجعل الأرمن من أبناء يافث بن نوح، حيث تناسل من "يافث جومر أوتوغرومة"، ومن هذا الخدر تيراس، ومن نسل هذا الأخير جاء هاييك " أبو الأرمن".

2-الرواية الثانية للمؤرخين الإغريقيين هيرودوتس واسطرابون:

اتفق هذان المؤرخان في القول: بأن الأرمن هم إحدى القبائل الهندو-الأوروبية التي نزحت آسيا ثم استقرت في أوروبا، إلى أنها يختلفان في تحديد الموقع أو الأرض التي سكنتها هذه القبائل الأرمينية في هذه القارة، ثم يعودان فيتفقان على أن الأرمن ومعهم الفريجيون والتراقيون أنهم غادروا القارة الأوروبية متجهين إلى آسيا عبر الفوسفور والدردنيل، حيث استقروا جميعا في فريجيا (بآسيا الصغرى غربي تركيا اليوم)، ثم انفصل الأرمن عن هذين الشعبين وتوغلوا في الأناضول.

3-الرواية الثالثة: هي ما جاء في الروايات والنظريات الحديثة التي تجمع على أن أصل الأرمن من البيلقان بالذات، وأن تشكل الأمة الأرمينية قد بدأ في القرن الثامن ميلادي، عقيب مغادرتهم فرجيا متوجهين شرقا نحو الفرات، مشكلين تجمعات قبلية امتزجت مع بعضها البعض مكونة تجمع اجتماعي وسياسي حتى تأسست هذه الدولة. ويذكر أن أرمينيا الصغرى التي قامت في إقليم قليقية بين جبال طوروس[2]

---

[1]- يوسف براهيم الجهماني: المرجع السابق، ص7.

[2]- فياد حماد محمد عاشور: الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس برس، ط1 1415هـ/1995م، ص229.

وبحر وامتدت حتى حدود إمارة أنطاكية[1] كان سكانها خليط من آسيا الصغرى.

ثانيا / سكان الأرمن (المجتمع الأرميني):

1–الخزر: هم جيل عظيم من الترك، بلادهم خلف باب الأبواب، وهم صنفان: الخزر البيض أصحاب الجمال، والخزر السّمر، أبنيتهم من الطين، كما كانت لهم لغتهم الخاصة[2].

والخزر اسم مملكة لا اسم مدينة، كما عرفت على أنها من النصارى واليهود والوثنيون، وانتشر الإسلام فيها بعد الفتح الإسلامي.

2–الأكراد: ورد ذكرهم في المصادر الأرمينية، وكانوا موجودين في أرمينية في أواخر القرن 9ق.م في منطقة بحيرة وان، وانتشروا في منطقة أرّان والراجح أنهم نزحوا إليها وإلى أرمينية من أذربيجان.

3–اللّكز: قوم لهم لغة خاصة بهم ولهم قوة وشوكة، وباسمهم سميت بليدة خلف مدينة باب الأبواب، يقطنون جبل القبق، لهم أرض واسعة وكور مأهولة.

4–الضارية: تمتد بلادهم بين قلعة باب اللاّن ومدينة تفليس، ومن المحتمل أن يكون أصلهم عربا بحجّة أنهم أيدوا العرب المسلمين في أيام الفتح الإسلامي، عرفوا بقوتهم العسكرية مما جعلهم مستظهرين على جيرانهم من الأمم، وكانوا قبل الإسلام نصارى.

–الدّودانية: يدّعون بأنهم ينتسبون إلى دودان بن أسد بن خزيمة فهم عرب، ومن المحتمل أنهم من العرب الذين نقلهم كسرى أنوشروان من بلاد العرب إلى كور أرّان للدفاع عن بلاده من خطر الخزر، فبنى لهم الحصون والقلاع، وأطلق عليها: أبواب الدّودانية.

6–الصغد: قوم من فارس، يقطنون منطقة مدينة صغدبيل[3] التي تقع على نهر الكرّ في الجانب الشرقي منه قبالة تفليس والتي بناها كسرى أنوشروان وأنزلها قوما من أهل الصّغد من أبناء فارس، وجعلها مسلحة من أجل الحماية من هجومات الخزر وغيرهم من الأعداء[4].

---

[1]– أنطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص150.

[2]– القزويني: المصدر نفسه، ص584.

[3]– صغدبيل: مدينة بأرض أرمينية على نهر الكر من جانب الشرقي قبالة تفليس، بناها كسرى أنوشروان العادل. انظر: الحموي: مج3، المصدر السابق، ص410.

[4]– محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص ص28-30.

7–الأرمن: سكان أرمينية الأصليون، وهم ينتسبون إلى الجنس الآري، كانوا يعيشون في البلقان، ثم استوطنوا آسيا الصغرى، وكانوا يعيشون حوالي مدينة قونية وقيصريّة ومنها اتجهوا نحو جبال آرارات واستمر تقدمهم إلى جوار مدينة أرضروم وهي قاليقلا في القرن 6ق.م حتى بحيرة وان وحوض نهر الكرّ.

ثالثا / مميزات الأرمنيين:

1 –لغات السكان:

يتكلم أكثر سكان أرمينية اللّغة الفارسية ثم العربية، والذين يتكلمون الفارسية لا يستطيعون التخاطب باللغة العربية، عدا التجار وأصحاب الصناعات فإنهم يجيدون العربية ويتخاطبون بها بطلاقة، أما سكان مدينة دبيل ونشوى وضواحيها فيتكلمون الأرمينية وكذلك سكان منطقة مدينة تفليس.

وقد تعددت اللغات في جبل القبق، فهناك اثنتان وسبعون لغة فيه لا يفهم بعض سكانها بعضا إلا بترجمان[1]، وأيضا كتب الأرمن لغتهم بالحروف الإغريقية والسريانية.

2–سمات الأرمنيين:

فيما لخص العلماء فإن سمات البارزة في الشخص الأرمينيين الناحية الفيزيولوجية هي كالتالي:

– القامة المتوسطة الأقرب إلى القصر (معدل الطول 166سم)، والبنية القوية.

– الجمجمة العريضة (القرنية الرأسية 86، والرأس ميطط من الخلف)، وعموما يتصف الفرد الأرميني بشكل غير عادي للرأس يبدو مستقيما ومسطحا من الخلف، ثم يلتف مع الجمجمة إلى الأعلى.

– إستطالة الوجه على نحافة وضيق وقنوة الأنف،وإنبساط الخدين، وسعة الفلك وقوته.

– الشعر الأسود الفاحم الغزير المجعد، والصدر العريض والشفاه الممتلئة.

– لون البشرة الأسمر المائل إلى الأبيض.

أما من الناحية النفسية فإن الأرميني هادئ–إلا إذا أثير–كثير التحمل للمشاق وفي أحوال كثيرة يصعب توجيههم كمجموعة، أو ترؤسهم نظرا لإنفراد كل منهم برأي[2].

---

[1]– محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص ص30–31.

[2]– مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار نوبل دمشق–سوريا، ط2، ب.س، ص ص 94، 111.

المطلب الثالث: الفتح الإسلامي للأرمن:

"أرمينا قبيل الفتح الإسلامي":

لعب الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي استقرت ضمنه الحدود التاريخية للدولة الأرمينية منذ نشوئها في القرن السادس قبيل الميلاد دورا كبيرا، باعتبارها الأرض التي تتوسط إمبراطوريات قوية ومتنافسة.

وقعت بين الساسانيين والإمبراطورية البيزنطية معاهدة عام 387م أصبحت أرمينيا فيها دولتين كل واحدة تابعة للإمبراطورية، وفي عام 387م حصل تقسيم جديد أيضا لأرمينا أصبحت هذه الدولة بدءا من عام 650م تقريبا مقسمة إلى قسمين: قسم يخضع للدولة العربية والثاني الغربي ويخضع للدولة البيزنطية، وانتهي الأمر بسيطرة السلاجقة الأتراك على أرمينيا عقب الكارثة الحربية التي وقعت للدولة البيزنطية في عام 1071م[1].

ونتيجة لتمدد السلجوقي في آسيا الصغرى بدأ الأرمن يبحثون عن مواطن تكون بعيدة عن الطريق الرئيسية للتوسع السلجوقي، فاتجهوا إلى أراضي قيليقيا الجبلية في جنوب شرقي آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر، وتركزوا في الجهات المحيطة بملطية والرها وأنطاكية.[2]

أولا / في عهد الخلفاء الراشدين:

شجع انتصار المسلمين في الجزيرة وفتحها بسهولة سنة 17هـ/638م في بث روح الجهاد لدى "عياض بن غنم الفهري" على توجيه أنظاره لفتح أرمينية المجاورة، فأجاز الدّرب إلى بدليس فأدى ذلك إلى انسحاب الروم من الجزيرة لكي يستعد من جديد لمهاجمة المسلمين واستعادة الجزيرة إلا أن عياض تفوق عليهم مما أدى إلى ضياع الفرصة لهم، فعقد عياض مع بطريق الروم في خلاط صلحا فكان هذا الأخير أول من أجاز الدر عبر الجزيرة إلى أرمينية، وبذلك مهد الطريق للفتح الإسلامي في أرمينية[3] وعاد عياض إلى الرقة[4]ومضى إلى حمص التي كانت محاصرة من طرف الروم فقام "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه[5]

---

[1]- يوسف ابراهيم الجهماني: المرجع السابق، ص9.

[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام(648-923هـ/1250-1517م)، دار النفائس، ط1 1418هـ /1997م، ص129.

[3]- محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص47.

[4]- الرقة: مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المدّ فهي رقة. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص270.

[5]- محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ص53-57.

على اختيار لمن يستطيع حمل السلاح من أجل كسر شوكة الرّوم وهزمهم فكان عثمان بن أبي العاص الثقفي ممن اختارهم "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، فانجلت الغمة على المسلمين في حمص وانسحب الروم إلى قواعدهم، كما وُجه "عثمان بن أبي العاص" من طرف عياض بن غنم إلى أرمينية الرابعة سنة 19هـ/640م فصالح أهلها على الجزية.

كما أوكل "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه "سراقة بن عمرو" في مهمة فتح مدينة باب الأبواب وجعل على مقدمته "عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي"، فسلك "سراقة" طريق الخزر لأنه أقصر طريق يؤدي إلى باب الأبواب وأيضا لأنه طريق آمن للجيش الإسلامي، ففتح المسلمون مدينة باب الأبواب، وكان ذلك سنة 22هـ/642م، ومات سراقة في باب الأبواب واستخلف قبل موته "عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي".

وفي سنة 25هـ/645م كان "الوليد بن عقبة بن أبي معيط"[1] على الكوفة في عهد "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، وكان أهل أذربيجان قد نقضوا فغزاهم الوليد وفتح كل من موقان[2]وبرزند[3] وغيرهم.

ثم بعث "سلمان بن ربيعة الباهلي" إلى أهل أرمينية في اثنا عشرة ألف، فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، وكان حبيب بن مسلمة الفهري على رأس أهل الشام، ففتح بلادا كثيرة في أرمينية، و"سلمان"كان ساعده الأيمن في فتوحه، فبعثه إلى أرّان، وقام بفتح البيلقان صلحا، وأيضا صالح أهل برذغة وشروان[4] وسائر ملوك الجبال والشابران[5] وغيرها من المناطق.

وقام "الحبيب بن مسلمة" بفتح المناطق الواقعة بين مدينة النشوى شرقا إلى مدينة قاليقلا غربا، إلى جبال القفقاس شمالا، وقد فتح معظم كور البسفرجان، والسيسجان وجرزان[6].

---

[1]– الوليد بن عقبة بن أبي معيط :(ت61هـ/680م) أخو عثمان بنعفان رضي الله عنه لأمه، أسلم يوم فتح مكة، وتولى الصدقات، ولاه عثمان على كوفة، ثم عزله عندما ثبت عليه شرب الخمر. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص497.

[2]– موقان: مدينة من خراسان من أعمال طوس، لها سوق وسور حصين، وبها قبر علي بن موسى الرضا. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص566.

[3]– برزند: بلدة من نواحي تفليس من أعمال جرزان من أرمينية الأولى كان أول من عمرها الأفشين وجعلها معسكرا له بعد أن كانت خرابة. انظر: الحموي: المصدر السابق، ص382.

[4]– شيروان: قال اليعقوبي: هي مدينة عظيمة من كور الجبل قديمة بين جبال وشعاب، وهي أشبه المدن بمكة شرفها الله تعالى، وفيها عيون. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص351.

[5]– شابران: مدينة من أعمال أرّان استحدثها أنوشروان، وقيل: من أعمال دربند وهو باب الأبواب، بينها وبين مدينة شروان نحو عشرين فرسخا. انظر: الحموي: مج3، المصدر السابق، ص303.

[6]– محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ص58، 59.

ثانيا / في عهد الدولة الأموية:

في عهد الخليفة العربي "معاوية"[1] في فترته 660هـ/680م مع الحاكم الأرمني "كريكور" عرفت علاقة طيبة بينهما ودليل ذلك قيام الحاكم الأرميني "كريكور ماميكونيان" ومعه الأمير"سمباط" بزيارة دمشق فاستقبلهما الخليفة "معاوية" بترحيب.

وفي عهد "عبد الملك بن مروان"[2]و الحاكم الأرمني الأول "أشوط" شهدت أرمينيا في فترة 685م-705م اضطراب أمني عندما قامت قبائل الخزر بتخريب بلاد الأرمن، وقتلت "أشوط" 688م، فقام الإمبراطور البيزنطي خلال الفترة هذه 685-688م بتوجيه جيوشه إلى أرمينية للانتقام من العرب والأرمن فأحدث فسادا في البلاد ثم انسحب لتتعقبه الجيوش العربية والأرمينية معا، ونحن نعلم أن العرب والأرمن كانت علاقتهم طيبة حتى في عهد "هشام بن عبد الملك"[3](724م-743م) الذي قام هو الأخير أيضا بتعزيز هذه العلاقة من أجل مواجهة العدو المشترك ألا وهو الخزر، وخلال هذه المدة كانت أرمينيا مسرحا للمعارك بين العرب والخزر[4].

عند ظهور "مروان بن محمد"[5]سنة 745م قرر غزو اللاّن[6]، فحدثت بينه وبين ملك الخزر مفاوضات التي أدت إلى انسحاب ملك الخزر تاركا بلاده، فدخلها "مروان" وقام بتخريبها وانتقم من الخزر[7]

---

[1]- معاوية بن أبي سفيان: أول الخلفاء الأمويين (41-60هـ/661-680م)، اشتهر بالدّهاء والحلم، قاتل الإمام عليّا كرم الله وجهه في معركة صفين (37هـ/657م)، نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق وجعلها وراثية في ذرّيته.

[2]- عبد الملك بن مروان: خامس الخلفاء الأمويين (685-705م)، اعتبره بعض المؤرخين مؤسس الدولة الأموية الثاني والمؤسس الأول معاوية بن أبي سفيان، قاتل الروم البيزنطيين، وأخمد العديد من الثورات.

[3]- هشام بن عبد الملك: الخليفة الأموي العاشر (105-125هـ/724-743م)، يعتبر أحد أبرز خلفاء بني أمية، وقد وضعه المؤرخين العرب في مرتبة تلي مرتبة معاوية وعبد الملك بن مروان. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص ص283-474.

[4]- مروان المدور: المرجع السابق، ص ص199-201.

[5]- مروان بن محمد: مروان الثاني، آخر الخلفاء الأمويين (127-132هـ/744-750م)، أخمد عدد من الثورات الداخلية المتلاحقة ولكنه أخفق في القضاء على أهل خراسان الموالين للعباسيين فهزم في معركة الزاب عام 750م وفر إلى مصر حيث لقي مصرعه. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، صص423، 424.

[6]- اللاّن: بلاد واسعة وأمة كثيرة، لهم بلاد متاخمة للدربند في جبال القبق، وليس هناك مدينة كبيرة مشهورة، وفيهم مسلمون، والغالب عليهم النصرانية، وليس لهم ملك واحد يرجعون إليه بل على كل طائفة أمير. انظر: الحموي: مج1، المصدر السابق، ص245.

[7]- محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص90 .

وأذلهم، ودخل أيضا إلى بلاد ملك السرير فأوقع أهلها وفتح قلاعا ودان له الملك، وافتتح كل من تومان وزريكران وحمزين وسغدان[1] صلحا، وسار إلى قلعة شروان فأخل أهلها بطاعته وجعل صاحبها أن يكون في المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر.

أحرز "مروان" انتصارات عديدة فقد استعاد المناطق التي انتقضت وصالح الذين أحبوا الطاعة والسلام، وطبق مبدأ العقاب والمكافئة بالنسبة للمسيئين والمحسنين، وقسم الواجبات القتالية على القادة المحليين والواجبات الإدارية على الإداريين، كما أوقع قلوب الكثير من الخزر والترك، مثبتا بذلك أركان الأمن والاستقرار في أرمينية، فاتحا خلالها بلادا كثيرة وحصون متعددة لأنه كان لا يفارق الغزو، وبقدر نجاحه قائدا في المجال العسكري، كان إخفاقه خليفة في المجال السياسي، كما أنه يعتبر آخر خلفاء الأمويين، ولم يستطع خليفة على أرمينية أن يملأ الفراغ الذي تركه هذا المغوار سنة 750م[2].

ثالثا / في عهد الدولة العباسية:

كان "أبو جعفر المنصور"[3] عاملا على أرمينيا فجعل هذا الأخير مقره مدينة اسروهين (حران)، وفي الوقت استغل الإمبراطور البيزنطي هذه الحالة فدخل أرمينيا واحتل بعض مدنها بسبب انقراض الدولة العربية حاكم أرمينيا العربي نفسه "أبو جعفر المنصور" ولي "يزيد بن أسيد السلمي" أرمينية ففتح باب اللان ورتب فيه رابطة من أهل الديوان وكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل فماتت زوجته وابنه في نفاسها، وقام يزيد ببناء مدينة أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين.

ثم انتقض أهل أرمينية في ولاية "الحسن بن قحطبة الطائي" بعد عزل "ابن أسيد وبكار بن مسلم العقيلي" وكان رئيسهم "موشئيل" فقتل وفضت جموعه واستقامت له الأمور، وولي بعد "الحسن بن قحطبة" "عثمان ابن عمارة" بن حزيم ثم "روح بن حاتم المهلبي" ثم "خزيمة بن حازم" ثم" يزيد بن مزيد الشيباني" ثم "عبد الله بن المهدي" ثم "الفضل بن يحي" ثم "سعيد بن سالم" ثم "محمد بن يزيد بن مزيد"، وكان "خزيمة" أشدهم ولاية وهو الذي سن المساحة بديل والنشوى ولم يكن قبل ذلك[4].

---

[1]– سغدان: قرية من نواحي بخارى. انظر: الحموي: مج3، المصدر السابق، ص222.

[2]– محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ص91-98.

[3]– أبا جعفر المنصور: ثاني خلفاء بني العباس (136-158هـ/754-775م)، يعتبر المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية، رقي العرش بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح، فقمع عدد من الثورات. انظر: منير البعلبكي: المرجع السابق، ص435.

[4]– مروان المدور: المرجع السابق، ص ص202، 203.

ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين في بلادهم يحمي كل واحد منهم ناحيته، وبعد أن ولي "المعتصم[1] بالله" الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني الثغر أهمل بطارقته وأحراره ولاَنَ لهم حتى ازدادوا فسادا على السلطان[2] فوجد "المعتصم" نفسه أمام ثورة الأرمن عليه، فعقد الولاية لقائده "خالد بن يزيد" الذي توجه إلى أرمينيا حيث هرع البطارقة والأمراء إلى الوالي العربي "المنصور بن عيسى" طالبين أن يكتب إلى الخليفة أن يرد هذا القائد ففعل خصوصا وأن ثورة الأرمن نفسها قد تأخرت بدورها بفعل الخلافات بين قادتها.

لما مات "المعتصم"، أعلنت أرمينيا العصيان وتحك كل من الأرمن والعرب والبطارقة والخزر في وقت واحد، وواجه هذه المشاكل الخليفة "الواثق" وعقد "خالد" لنفسه الولاية على أرمينيا الذي قضى حتفه، ثم استطاع القائد الجديد "محمد بن محمد بن خالد" أن يعيد الهدوء إلى البلاد وما لبث "الواثق" أن مات بدوره[3].

جاء "المتوكل على الله" ولي "يوسف بن محمد بن يوسف" المروزي أرمينية لسنتين من خلافته فلما صار بخلاط أخذ بطريقتها "بقراط بن أشوط" فحمله إلى سامراء فانزعج البطارقة والأحرار والمتغلبة من ذلك وقاموا بتحريض الخوثية (وهم علوج يعرفون بالأرطان)، فقتلوه وأخذوا ما كان في معسكره، فولى أمير المؤمنين "المتوكل على الله" "بغا الكبير" أرمينية فلما صار إلى بدليس أعلن "موسى بن زرارة" الحرب على الخوثية فقتل منهم وسبى ثم حاصر "أشوط بن حمزة بن جاجق" بطريق البسفرجان وهو بالباق فستنزله من قلعته وحمله إلى سر من رأى وسار إلى جرزان فظفر بإسحاق بن اسماعيل فقتله وفتح جرزان وحمل من بأرّان وظاهر أرمينية من بالسيسجان من أهل الخلاف والمعصية من النصارى وغيرهم حتى صلح ذلك الثغر صلاحا لم يكن مثله[5] .

---

[1]– المعتصم: ثامن خلفاء العباسيين (218-227هـ/833-842م)، كان أول خليفة عباسي اصطنع الجند الأتراك الذين سيطروا بعد على الخلافة العباسية، بنى مدينة سامراء وجعلها عاصمة الخلافة عام 837م.

[2]– البلاذري: فتوح البلدان، طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر، ط1 1319هـ/1901م، ص217.

[3]– مروان المدور: المرجع السابق، ص204.

[5]–البلاذري: المصدر السابق، ص ص218، 219.

من خلال دراستنا لهذا المبحث توصلنا إلى أصل الأرمن أنهم من الشعوب الهندوأوروبية "آسيوية"، التي تميزت بخصائص كثيرة مما جعلها متميزة عن الغير مما أدى إلى جذب العدو إليه وفيما يخص تاريخها فقد شهدت ظروف أحاطت بها مما جعلها محل اهتمام الكثير خاصة المسلمين الذين ركزوا عليها منذ وصولهم إلى أطراف الشام لأنها وقعت في الطريق الذي يسلك إلى بلاد الروم، هذا ما ولد علاقات كثيرة قامت بين دولتين العرب (المماليك) والأرمن، وهذا ما سوف نتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الثالث

المبحث الثالث: العلاقات السياسية المملوكية الأرمينية وانعكاساتها:

تمهيد.

المطلب الأول: العلاقات في عهد الظاهر بيبرس (658هـ-676هـ /1260م -1277م).

المطلب الثاني: العلاقات في عهد أسرة قلاوون (678هـ -784هـ/1279م -1382م).

أولا/ في عهد السلطان قلاوون الألفي (678هـ -689هـ/ 1279م-1290م).

ثانيا/ في عهد الأشرف خليل بن قلاوون (689هـ -692هـ/ 1290م-1293 م).

ثالثا/ في عهد الناصر محمد بن قلاوون الثانية (698هـ-708 هـ/ 1299م-1309م).

رابعا/في عهد الأشرف شعبان بن حسين (764هـ -778هـ/ 1363م -1376م).

المطلب الثالث: العلاقات في عهد حسام الدين لاجين (696هـ -698هـ/ 1292م-1294).

المطلب الرابع: انعكاسات العلاقات المملوكية الأرمينية.

أولا/ الانعكاسات السياسية (التحالف المغولي الصليبي).

ثانيا/ الانعكاسات الاقتصادية (فكرة الحصار الاقتصادي للمماليك).

تمهيد:

تناولنا في هذا المبحث طبيعة العلاقة القائمة بين الدولتين المملوكية الأرمينية، والتي اتسمت بالعداء وتطرقنا إلى سياسة الحكام المماليك تجاه أرمينية الصغرى، وكذا انعكاسات هذه العلاقات سياسيا واقتصاديا.

المطلب الأول: العلاقات في عهد الظاهر بيبرس (658–676هـ /1260 –1277م):

اضطرت مملكة أرمينية الصغرى أن تواجه القوى التي رسمتها لنفسها وهي المماليك، الذين عملوا على مواجهة المغول والصليبيين معا، وإذا كان المماليك قد نجحوا في القضاء على آخر البقيا الصليبية في الشام فمن غير المعقول أن يغفلوا على أرمينية الصغرى[1] لأنها تحالفت مع المغول وعدة أطراف مسيحية أخرى وكان لكل دوافعه ومصالحه التي يخدمها في مواجهة المسلمين عامة والمماليك خاصة.

وكان من بين الأطراف المسيحية التي شاركت مملكتا أرمينية والكرج، والإمارات الصليبية بالشام وغيرها، فقام الملك الأرميني المسيحي بإقناع المغول بإرسال الحملة التي دمرت بغداد بقيادة "هولاكو"، ثم توجه نحو الشام ومصر طوال فترة حكمه وابنه من بعده، فقد شاركت القوات الأرمينية مع إمارة الكرج الصليبية في حملة "هلاكو" في بغداد والشام[2].

بعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت 658هـ/1260م اهتزت مكانة المغول وهيبتها، وترتب على ذلك توحيد مصر والشام تحت سلطنة المماليك، وجراء ذلك أدرك "هيثوم" ملك أرمينية الصغرى أنه في خطر، فحاول أن يتراجع في سياسته التي اعتمدت على التماس الحماية إلى المغول، فأرسل إلى الملك "الظاهر بيبرس" يطلب منه الصلح والرضا، لكنه رفض فلم يجد الملك الأرميني حلا سوى التوجه إلى تبريز طالبا النجدة من المغول، فقرر بيبرس أن ينتهز الفرصة بعد غياب "الهيثوم" على بلاده[3].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص240.

[2]– نادية محمود مصطفى: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الثانية (642-923هـ/1258-1517م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي–القاهرة، ط1 1996، ص24.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص249.

توجه "الظاهر بيبرس" إلى الشام بجيشه، وترك في مصر "شمس الدين أقسنقر الفارقاني" والوزير بهاء الدين، فوصل "بيبرس" إلى دمشق في 29 شعبان 665هـ/1267م، فعبر الدربند غلى باب الاسكندرونة إلى سيس فستولى عليها وعلى أياس والمصيصة وأذنة، فقتلوا وأسروا الكثير من الأرمنيين[1].

شارك في هذه الحملة "المنصور الثاني محمد" والي حماة مقدما على حملة رفقة الأمير "عز الدين أوغان" والأمير "قلاوون"، أما الجيش الأرميني فقد كان تحت زعامة أخو "هيثوم" وابن عمه "باسل بن سنباد" وابن "هيثوم" والأمير "ثوروس"، وهكذا هزم الجيش الأرميني على أيدي المماليك فاستولوا على قلعة العامدين التي كانت عاصمة أرمينية الصغرى[2]فقد هدموا وغنموا أعدادا لا تحصى[3].

وبعد ذلك عادوا إلى الشام حاملين الغنائم والأسرى، فأكرمهم "بيبرس "ورجع إلى مصر ومعه "ليو ابن هيثوم" أسيرا، إذ طالت المفاوضات بين الطرفين من أجل إطلاق سراح "ابن هيثوم"، وبعد أخذ وعطاء اضطر "هيثوم" تحت ضغط عاطفة الأبوة على التنازل، فتقرر الصلح على أن يرد الأرمن بهسنا[4]ودربساك وكل ما استولى عليه من بلاد الإسلام، وأطلق سراح الأمير "سنقر الأشقر" مقابل إطلاق الأمير "ليو" و"غبن" عمه في أنطاكيا.

خلال فترة حكم "الظاهر بيبرس ظل" الأرمن متعلقين بالمغول بحمايتهم من ضغط المماليك، والدليل على ذلك أن رسل المغول للمماليك لمحاولة عقد الصلح كانت مسحوبة بجمعات من سيس(أرمينية)، لكن "بيبرس" اتخذ موقف من المغول والأرمن، وزاد موقف الأرمن عدوانا أثناء استيلائه على أنطاكيا أكبر الإمارات الصليبية في الشام 666هـ/1268م، واستسلمت بغراس[5]دون مقاومة وبذلك انتهت فكرة إمكان تحقيق تحالف بين أنطاكيا وأرمينية الصغرى من أجل ضرب العدو المشترك المتمثل في المماليك.

وبعدها اعتزل "هيثوم" الحكم سنة 667هـ/1269م، وخلفه ابنه "ليو الثالث" (667هـ-687هـ/1269م-1289م) وقد حاول كل من الأرمن والمغول التحالف مع الغرب الأوروبي الذي شهد عدة مشاكل [6]

---

[1]- عز الدين بن علي بن شداد: تاريخ الملك الظاهر، دار فرانز سانرنقبسيادن-بيروت، ب.ط، 1403هـ/1983م، ص106.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص250.

[3]- شهاب الدين ابن عماد: مج7، المصدر السابق، ص594.

[4]- بهسنا: قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسمبساط.

[5]- بغراس: مدينة في جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربع فراسخ. انظر: الحموي: مج1، مصدر السابق، ص ص516،467.

[6]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص251، 252.

لكن دون جدوى، وقد انشغل "الظاهر بيبرس" بالتمكين لنفسه وبحروبه العديدة ضد التتار والصليبيين، ربما أدى ذلك إلى إعطاء ملك أرمينية الصغرى فرصة قصيرة يلتقط بها أنفاسه ويحاول بيها إصلاح الأوضاع السيئة التي مرت بها بلاده.

كما استطاع "ليو الثالث" أن يصلح ما فعله المماليك من خراب[1]وأيضا التأثيرات التي خلفها الزلزال الذي حل بأرمينية حيث تصادمت الجبال التي كانت بينها مسافة[2]، وأصبحت إياس مركز تجاري عظيم وواسع وهذا ما جعل "الظاهر بيبرس" يوجه جيوشه إلى أرمينية مرة أخرى سنة 673هـ/ 1275م وقد كان هجوما مدمرا بقيادة أمير "قلاوون"[3] وأمير "بيليك الخازندار" على المصيصة من بلاد الأرمن وقتلوا من بها، وغنموا الكثير من أبقار وجواميس وأغنام وخيل كما حملت المراكب العديد من الخيرات[4].

كما أرسل "بيبرس" جندا إلى إياس فنهبوا وحرقوا وقتلوا نحو ألفين بين فرنج وأرمن في المراكب، وعادت جيوش المماليك إلى أنطاكيا وعلى رأسها السلطان "الظاهر بيبرس" بعد أن غنموا مالا يحصى، ولم يساعد أرمينية حلفاؤها المغول، وهاجم "الظاهر بيبرس" سلاجقة الروم التي كانت مشمولة بالحماية المغولية وقد أعلنت خضوعها لسلطان المماليك[5].

إذ قام بيبرس بمهاجمة الممتلكات الصليبية باستمرار في سنة 661هـ/ 1264م إلى غاية سنة 676هـ/ 1277م، فاستولى على عدة مناطق من أرمينية الصغرى[6].

وكان النصر الذي قام به "الظاهر بيبرس" قد أخمد النار والروح الصليبية بعد عجز المغول وحلفائهم الأرمن عن صد هجوم المماليك عن أرمينية، بالرغم من محاولة الأرمن برد الهجوم إلا أنها باءت الفشل، وبذلك استطاع "بيبرس" أن يؤمن خطر المغول والأرمن بعد أن وضع الأسس الصحيحة لمن أتى بعده من سلاطين[7].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص252-255.

[2]– بدر الدين محمود العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، تح: محمود رزق، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، ب.ط، 1431هـ/2010م، ص277.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص255.

[4]– المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2، المصدر السابق، ص90.

[5]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص255.

[6]– السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص51.

[7]– عبد الله سعيد محمد الغامري: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام، الدراسات العليا التاريخية-جامعة القرى مكة المكرمة، ب.ط، 1406هـ/1986م، ص 269.

من خلال ذلك نتوصل إلى أن فترة الظاهر بيبرس تميزت فيها العلاقات المملوكية الأرمينية بالعداء والحروب، واستمرار دولة المماليك بمهاجمة أرمينية كلما جرى تحالف بينها بين القوى المسيحية والمغول.

المطلب الثاني: العلاقات في عهد أسرة قلاوون (678 –784هـ/1279 –1382م):

أولا / في عهد السلطان قلاوون الألفي (678 –689هـ/ 1279–1290م):

اتفق في عهده كل من أبغا خان المغولي وليو الثالث ملك أرمينية الصغرى، على قيام بعمل حربي وذلك نظرا لما تعرضت له كل من المغول وأرمينية من خراب بسبب المماليك، ومازدا هذه الحملة خطورة هو أن الأمير "سنقر الأشقر" أظهر عدائه لسلطان "قلاوون"، إذ استنجد ببلاط المغول وأطلع "أبغا خان" على العديد من خبيا المماليك.

وفي سنة 677هـ/1280م احتلوا عينتاب[1] وبغراس ودربساك وحلب واحرقوا العديد من الجوامع والمساجد والمدارس ودار السلطة، وقد كانت هذه مجرد بداية للحملة[2]، كما ذكر أبو الفداء أن الحملة اشترك فيها ثمانين ألف مقاتل وخمسين ألف من المغول، والباقي جموع من أجناس مختلفة من كرج وأرمن وعجم وغيرهم[3]، وكان جيش المماليك تحت قيادة السلطان "قلاوون الألفي" وانتهت المعركة بهزيمة المغول 681هـ/1281م، وانسحاب "ليو الثالث" وبعد ذلك عقد "قلاوون الألفي" هدنة مع أرمينية مدتها عشرة سنوات، وكان على الأرمن دفع جزية مقدارها مليون درهم[4].

توفي ملك التتار و"منكوتمر بن هولاكو خان" بعد الهزيمة التي حلت بعساكره بحمص على يد "المنصور قلاوون الألفي"[5].

كما أضطر "قلاوون" إلى مواجهة المنافسة الخطيرة التي تشكلها أرمينية الصغرى وميناؤها إياس في وجه التجارة المملوكية، فأرسل السلطان إلى نوابه في الثغور يأمره بمعاملة التجار الأجانب والتودد إليهم وترغيبهم في الوفود إلى مصر ومراعاة ما يحبونه من أموال، كذلك أصدر السلطان "قلاوون" منشورا إلى التجار الذين يأتون من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ويرحب بهم ويريهم محاسن مصر[6].

---

[1]– عينتاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهي الآن من أعمال حلب. انظر: الحموي: مج4، المصدر السابق، ص176.

[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص257.

[3]– عماد الدين أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج4، مطبعة الحسينية المصرية، ط1، ص15.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص258.

[5]– جمال الدين أبي المحاسن: ج7، المصدر السابق، ص301.

[6]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص259 ،260.

حكم "هيثوم الثاني" بعد أبيه "ليو الثالث" في حكم أرمينية الصغرى سنة 688هـ/1289م، وقد استولى السلطان "قلاوون" على طرابلس وعندها أحس "هيثوم الثاني" بضعف مركزه فلجأ إلى التماس السلم من "قلاوون" وكذلك في عهد إنه "الأشرف خليل".

ثانيا / في عهد الأشرف خليل بن قلاوون (689هـ –692هـ/ 1290م–1293 م):

إذا كان "قلاوون" وابنه "الأشرف خليل" قد قبلا رجاء "هيثوم الثاني" فإن ذلك لا يعني التغاضي عن أمر أرمينية الصغرى، وإنما لأنهم كانوا مشغولين باستلاء على عكا[1]آخر البقايا الصليبية بالشام، ما سهل أمر أرمينية الصغرى، وما إن أقدم السلطان "الأشرف خليل" أن يسيطر على عكا 690هـ/ 1290م حتى بعث إلى ملك أرمينية الصغرى رسالة[2]، من خلال ما كتب السلطان "الأشرف" إلى ملك أرمينية الصغرى أنه كان يبين له عظمة الجيوش المملوكية، وأمره بالحضور بنفسه بتقديم الطاعة والولاء لسلطان المماليك قبل فوات الأوان، وزحف بعد ذلك إلى قلعة الروم 691هـ/1292م واستولى عليها بعد حصار دام أكثر من شهر، وقد قتل الكثير من أهلها وهدم دوروها ونهبت ثرواتها وأسر الكثير، ومن بينهم ستيفن الرابع رئيس كنيسة أرمينية الصغرى، ثم عاد "الأشرف" إلى دمشق وأعد قواته للهجوم على سيس، لكن ملك أرمينية الصغرى سارع وأرسل إلى السلطان "الأشرف" يطلب منه الصلح ويخبره بأنه مهما طلب من قلاع ومال فإنه ليتردد في إعطائه .

وقد تم الاتفاق بينهم على أن يتسلم نواب السلطان ثلاث قلاع من والي سيس، وبعد تولي السلطنة "الناصر محمد بن قلاوون" ومجرى من اضطرابات واشتداد الغلاء وانتشار الوباء أدى ذلك إلى التدهور في سلطنة المماليك مما أعطى أرمينية الصغرى فرصة تلتقط فيها أنفاسها بالرغم من أنها كانت تشهد اضطرابات هي الأخرى، حيث تنازل "هيثوم الثاني" لأخيه "ثروس الثالث" 691هـ/1292م، ثم أجبر "هيثوم" للعودة للحكم مرة أخرى ولكن أخوهم "الثالث سمباد" انتزع العرش لنفسه 695هـ/1296م وظل في الحكم حتى عزله أخوه الآخر الذي يدعى "قسطنطين" 697هـ/1298م، وأخيرا عاد "هيثوم الثاني" إلى العرش مرة أخرى[3].

---

[1]– عكا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها وهي حصينة وكبيرة. انظر: القزويني: المصدر السابق، ص223.

[2]– انظر الملحق رقم7.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص260 ،261.

ثالثا / في عهد الناصر محمد بن قلاوون الثانية (698هـ-708هـ/ 1299م-1309م):

استمرت العداوة بين المماليك والأرمن في فترة حكم "الناصر محمد بين قلاوون"، وكان قد ارتقى "هيثوم الثاني" عرش مملكة أرمينية الصغرى عام 688هـ/1289م، ولم يتأخر "هيثوم الثاني" عن التعاون مع المغول ضد المماليك البحرية خاصة لضربة الأخيرة التي وجهها للأرمن في عهد حكم السلطان "حسام الدين لاجين".

وهكذا قد حقق الملك الأرميني الانتقام لما حل لبلاده، ولكن "السلطان محمد الناصر" لم يغفر للأرمن ما فعلوه من خراب بالصالحية وظل المماليك يتذكرون ذلك دائما، كما اضطر التحالف المغولي الأرميني الكرجي إلى الانسحاب عن شمالي الشام، وقد استرجع المماليك السيطرة عليها وأصبح الطريق إلى أرمينية مفتوحا أمام جيوش المماليك، وفي هذه الفترة توقف الملك الأرميني "هيثوم الثاني" عن دفع الجزية للمماليك، وخرج عن تقديم الطاعة لهم وانتمى إلى غازان[1] ملك المغول، هذا ما دفع السلطان إلى تجهيز حملة كبرى لمهاجمة أرمينية الصغرى .

خرجت هذه الحملة سنة 700هـ/1301م بقيادة الأمير "بكداش فخري" ومعه الأمير "عز الدين أيبك الخزندار"، وانضم إليهم نائب حماة الملك "العادل زين الدين كتبغا المنصوري"[2]، واتجهوا نحو سيس عاصمة أرمينية وحاصروها ونهبوا أراضيها وخربوها وعادوا إلى دمشق.

لم يكتفي السلطان "الناصر محمد" بذلك وأراد أن يلقن درسا "لهيثوم" نظرا لانضمامه للمغول في الحملة التي وجهوها للشام 704هـ/1304م، فجهز حملة أخرى بقيادة "بدر الدين بكداش" ورافقه بعض الأمراء فتوجهوا إلى قليقية ودخلوا إلى العاصمة سيس ونهبوها وأحرقوا مزارعها، كما أسروا ثم فتحوا تلحمدون وقد دفع لهم ملك أرمينية كل ما تأخر من جزية، لكن سرعان ما عاد إلى سياسته الأولى في عدم دفع الجزية، فأرسل إليه السلطان الأمير "شمس الدين قراسنقر" في عام 705هـ/1305م جيشا بقيادة "سيف الدين قشتمر"، فحاول الملك الأرميني أن يرشوا القائد المملوكي فعرض عليه مبلغ من المال مقابل أن يرجع إليه بلاده، لكنه رفض وواصل السير نحو سيس مخربا بعض القرى لكنه فشل في تحقيق[3]

---

[1]- غازان: وهو القان قزان أو غازان كما يسمى أحيانا وهو المدعى للإسلام وهو وثني، وقد اعتنق الإسلام واعتقده. انظر: محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2 1402هـ/1982م، ص83.

[2]- الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري: هو عاشر من ملوك المماليك بالديار المصرية بويع بالسلطة بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون 694هـ/ 1295م، وكان أصله من التتار. انظر: إبن إياس: ج1، المصدر السابق، ص386.

[3]- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ص235-237.

الانتصار على الأرمن، بسبب التحالف الذي جرى بين الأرمن والمغول والصلبيين والذي هزموا به جيش المماليك وتوسعوا بذلك داخل الأراضي المملوكية حتى وصلوا إلى غزة، واصطدموا بقوات "قشتمر" المنسحبة وهزمتها وأسروا الكثير من الجنود المملوكية، فغضب "الناصر محمد" من الهزيمة التي حلت بجيوشه وقرر التصدي لتحالف المغولي الصليبي، وجهز جيشا كبيرا بقيادة الأمير "بكداش الفخري" فخرج الجيش إلى غزة وخشي "هيثوم" منه إذ أرسل إلى نائب حلب الجزية التأخر وطلب منه أن يشفع له عند السلطان "الناصر محمد"، فقبل الناصر بذلك وأمر بعودة الجيش إلى القاهرة .

على الرغم من كل الحملات التي أرسلها السلطان "الناصر محمد" إلى أرمينية الصغرى، إلا أن المماليك لم يسيطروا عليها كليا، فقد اضطروا إلى التخلي عن عدة قلاع التي ضموها وأصبح السيادة على هذه المملكة ممثلة في الجزية السنوية التي يدفعها ملوك أرمينية إلى السلاطين المماليك. وقد شهدت مملكة أرمينية اضطرابات داخلية بسبب النزاع على السلطة، فخربت الكثير من المدن والمزارع نتيجة الحروب المستمرة مع المماليك فساءت الأحوال بشكل واضح منذ بداية القرن 14م ولم يستطع "هيثوم" تحمل ما آلت إليه البلاد فتنازل عن الحكم لابن أخيه "ليو الرابع".

لم يتمكن "ليو الرابع" من إعادة البلاد إلى الازدهار الذي كانت عليه من قبل، وقد قتل أحد أمراء المغول هو "هيثوم الثاني" في عام 707هـ/1307م فزاد ضعف المملكة بعد ذلك مما أدى إلى دخول عدة حكام المغول للإسلام وهذا يعني فقدانها لأكبر حليف لها، وجعلها ذلك في موقف حرج بين وسط يحيط بها الإسلام من جميع جهاتها، لهذا قام الملك الأرميني أوشين (1308–1320م) باسترضاء المماليك فأرسل إلى نائب حلب رسالة اعتذار حمل فيها المغول ما حدث وأرسل معه هدايا ثمينة[1].

وفي عهد الملك الأرميني "ليو الخامس" الذي طلب المساعدات من البابوية والتي استجابت لطلبه وجمعت له بعض الأموال، وأرسل أيضا البابا "حنا الثاني والعشرون" رسالة إلى "بوسعيد إيلخان" مغول يذكره بموقف أرمينية الصغرى، وملوكها وماقاموا به من مساعدات للمسحيين في الشرق، وطلب منهم إرسال مساعدات لملك أرمينية الصغرى، وما إن سمع المماليك ذلك حتى قاموا بإرسال حملة كبيرة إلى سيس، واستولوا عليها بعد حصار فقتلوا أهلها وخربوها وأسروا الكثير منهم.

لم يشأ "ليو الخامس" أن يغضب سلطنة المماليك أكثر من ذلك، فقد عمل على إرسال رسل تحمل الهدايا إلى السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" سنة 1323م، وقد كان من بين الرسل "قسطنطين"[2]

---

[1]– محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ص237، 238.

[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص269، 270.

بطريرك الأرمن الذي اعتذر إلى "السطان الناصر محمد" عما حدث، وبذلك عقد "الناصر محمد" معهم هدنة لمدة 15سنة[1]، كما تقرر على الأرمن أن تدفع لمصر مئتي ألف درهم [2]، مع دفع نصف دخل ميناء إياس، وكان المماليك دمروه في الحملة الأخيرة ضد الأرمن، فتعهد السلطان الملك "الناصر محمد" على أن يعيد بناء إياس من جديد، وكان المماليك يرسلون أحد كبار الأمراء إلى أرمينية الصغرى لاستلام الضريبة السنوية المفروضة عليها، ويقال أنه من قوة ولاء ليو الخامس أنه قطع رأس أوشين وأرسله إلى السلطان الناصر محمد لأنه كان يثير الفتنة، وليظهر ولائه .

وقد ألحت البابوية على فليب الخامس ملك فرنسا لتقديم المساعدة إلى أرمينية الصغرى سنة 1335م وبعد أن سمع المماليك بذلك أعادوا الهجوم على أرمينية وغزو سيس 737هـ/1337م، وقد كان الأمير أقطاي هو مقدم الحملة وذلك بعد أن عينه السلطان "الناصر محمد".

قام ملك أرمينية الصغرى "ليو الخامس" بإرسال هدية إلى تنكز[3] نائب الشام وطلب منه إيقاف الهجمات، وأنه مستعد لتقديم القلاع التي تقع وراء النهر، فأرسل تنكز إلى السلطان "محمد الناصر" وأخبره بما قام به ملك أرمينية، وإذا بالناصر محمد يبعث إلى قائد العسكر "ألطنبغا" يأمره بمنع الغارة على الأرمن، وأن يرجع كل الآلات الحربية إلى بغراس، لكن العسكر أصروا على مهاجمة إياس مخالفين أوامر القائد وحاصروها سبعة أيام ثم استولوا عليها في اليوم الثامن، وقد سارع الملك "ليو الثالث" بإرسال مفاتيح القلاع مقابل أن ترجع له العساكر ما أخذوا ونهبوا من بلاده، فرجع المماليك إلى الشام بعد استلامهم للقلاع ومن بين هذه القلاع قلعة نجيمة وقلعة سرفندكار، وهذا ما يفسر تبعية أرمينية لسلطنة المماليك منذ ذلك الوقت[4].

وقد منح "السلطان الناصر محمد بن قلاوون" أراضي سيس لنائب حلب الشام، وقد وجه "تنكز" نائب الشام سنة 739هـ/1339م إلى بلاد سيس ليكتشف البلاد التي أنعم بها عليه وعمر "تنكز" تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال[5].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص269، 270.

[2]– القلقشندي: المصدر السابق، ص30.

[3]– تنكز: تنكز الحسامي، الأمير سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام اشتراه حسام الدين لاجين قبل سلطنته، لما قتل انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون. انظر: تقي الدين المقريزي: المقفى الكبير، ج2، تح: محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي بيروت–لبنان، ط1 1411هـ/1991، ص 607.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، المرجع السابق، ص ص270–272.

[5]– المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص728.

أما "الناصر محمد بن قلاوون" فقد أشفق على ماحل بأرمينية الصغرى من خراب وتدمير على أيدي جيوشه، فعمل على إعفاءها من الخراج المقرر عليها مدة ثلاثة سنوات، كما عقد معها هدنة مدتها عشر سنوات، وبالقابل تعهد "ليو الخامس" بعدم الاتصال بالغرب الأوربي وعدم قبوله لأية مساعدات قد تأتي إليه من أي منطقة كانت، كما عمل كل من الأمراء الذين أخذوا بعض الإقطاعات من أراضي أرمينية الصغرى عملوا على الاعتناء بها وخدمتها، فأمر "محمد الناصر ابن قلاوون" الأمير "تنكز" نائب الشام أن يحمل لأرمينية الصغرى الغلال.

وفي منتصف القرن 14م تدهورت أحوال أرمينية الصغرى وهذا ما أدى بها إلى عجزها عن دفع الخراج لسلطنة المماليك وهذا ما لم تسكت عنه المماليك فخرجوا سنة 744هـ/1343م وثاروا على أهل سيس وأحضروا الخراج بالقوة فزاد هذا من خراب أرمينية الصغرى.

رابعا / في عهد الأشرف شعبان بن حسين (764هـ –778هـ/ 1363م –1376م):

في عهد استمرت الدولة المملوكية ترهق أرمينية الصغرى بالأموال التي كانت تقدمها لها التي كانت تمثل موردا هاما للمماليك لذلك لم تستطع الدولة المملوكية أن تحتمل التدهور الذي حصل للأرمن، وأنها أصبحت عاجزة تماما على دفع الأموال المفروضة عليها حتى بعد أن أنقصت إلى نصف المبلغ، فاعتبروا المماليك ذلك تمردا على سلطتها وقرروا غزوها وإخضاعها كليا[1].

وقد أمر الملك "الأشرف شعبان" نائبه في حلب "اشقتمر الماردي" بغزو أرمينية الصغرى فغزاها (765–779هـ/1374–1375م)[2] ، وكانت أرمينية الصغرى في حالة ضعف ولا تستطيع مقاومة الحصار الذي دام ثلاثة أشهر على سيس، وتمكن المماليك من دخولها والاستلاء عليها، بعدها فر "ليو السادس" ملك أرمينية الصغرى إلى قلعة جابان وهي قلعة حصينة، تقع على نهر جيهان لكن جيوش المماليك تعقبته وحاصرته في تلك القلعة مدة تسعة أشهر مما دل على حصانة القلعة، وفتحت جايان وألقوا القبض "ليو السادس" آخر ملوك أرمينية هو وزوجته وأسرته، وأخذوه إلى القاهرة .

كما عجز "ليو السادس" على دفع الفدية لإطلاق صراحه، وظل أسيرا بالقاهرة مدة ثمانية سنوات، وفي هذه السنوات تدهورت حالته الصحية وماتت زوجته وابنه، وعندها أرسل "الأشرف خليل" أمراء[3]

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص273، 275.

[2]– جمال الدين أبي المحاسن: ج11، المصدر السابق، ص105.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص276.

من الأرمن الذين كانوا مرافقين للسلطان، وسمح لهم بالذهاب إلى البابوية يطلبون العون والمساعدة لفداء "ليو السادس"، ففدوه وأطلق سراحه سنة 786هـ/1382م، واتجه إلى بيت المقدس للحج ثم إلى أنطاكية واستقر في باريس إلى أن مات في نوفمبر سنة 797هـ/1393م.

لقد كان أسر "ليو السادس" سنة777هـ/1375م سقوط مملكة أرمينية الصغرى، وأصبحت تحت سلطة المماليك بعد ذلك مباشرة، وذلك جراء ما قام به المماليك الذين لم ينسوا لأرمينية موقفها المعادي، وكذا تحريض المغول ومحالفتهم ضد المسلمين، فمنذ تلك السنة أصبحت أرمينية الصغرى تابعة لسلطنة المماليك، فأشرف على شؤونها نائب حلب في البداية، وبعد ذلك أصبح لها نائب مستقل يدعى "نائب سيس"، ومن بين الأمراء الذين تولوا نيابة سيس الأمير "شرف الدين موسى بن محمد الكردي"، والأمير "تغاي تمر"[1].

وإذا كانت مملكة أرمينية الصغرى قد وجدت لنفسها سندا في الصليبيين والمغول، فإن هاتين القوتين قد ضعفت قوتهما بسقوط مدينة عكا وطرد بقايا الصليبيين من الشام سنة 690هـ/1269م، على يد "الأشرف خليل بن قلاوون"، ثم سقوط دولة المغول 752هـ/1353م، ولم نجد سندا آخر في التصدي للمسلمين.

كما لم تتمكن كل من البابوية والغرب الأوروبي مساعدتها، إذ حاولت البابوية ذلك وحدثت جمهورية البندقية على القيام بدور الوساطة بين دولة المماليك والأرمن، وذلك بهدف الحفاظ على الأرمن وعدم سقوطها في أيدي المسلمين لكن البندقية رفضت أن تقوم بالوساطة حرصا على مصالحها الاقتصادية في مصر.

بالإضافة إلى موقف قبرص التي وقفت دون فعل شيء لأنه جاء بعد الصلح الذي تم 773هـ/ 1374م بين "بطرس الثاني" ملك قبرص ودولة المماليك بعدها هاجم الجيش الإسلامي المملوكي مملكة أرمينية الصغرى، وقد عمل هذا النصر على زوال خطر تلك الدولة التي كانت تساند الصليبيين وتهدد المسلمين ببلاد الشام وأطراف العراق، هذا بالإضافة إلى دورها في تهديد البحارة بين الشرق والغرب والتي كانت دولة الأرمن طريق رئيسي لهذه التجارة.

يمكننا أن نقول إن سقوط دولة الأرمن، يعتبر سقوطا للإمارة صليبية جاءت وليدة لحركة الصليبية، وقد شاركت في الحركة الصليبية وكان دورها فعالا في ذلك حتى سقطت سنة 1374م، وتحولت إلى[2]

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص276 -278.

[2]– فايد حمادمحمد عاشور: المرجع السابق، ص ص235، 236.

جزء من دار الإسلام تابعة لنيابة حلب التابعة بالسلطان المملوكي حاكم مصر وبلاد الشام، وأخذت العلاقات طابع العدائية على الأغلب[1].

[1]– فايد حمادمحمد عاشور: المرجع السابق، ص 236.

المطلب الثالث: العلاقات في عهد حسام الدين لاجين (696هـ -698هـ/ 1292م-1294م):

قامت أرمينية الصغرى بتوطيد العلاقات مع المغول، لأنها تحتاج إلى الحماية، وكذا قامت بتوطيد علاقتها مع الإمبراطور البيزنطي فوصلت الأخبار إلى المماليك بأنهم يخططون للتحالف، فقرر "حسام الدين لاجين" الاستلاء على سيس، حيث خرجت حملة كبرى 697هـ/1298م على رأسها الأمير "بدر الدين بكداش فخري والأمير حسام الدين لاجين الرومي"، والأمير "شمس الدين أقسنقر"، و"تقي الدين محمود" والي حماة، فلما سمع والي سيس أراد العفو فلم يجبه السلطان وقد استطاعوا أن يستولوا على تل حمدون ودربند، سيس.

وقد اختلف القادة في عملية الغزو عندما ذهبوا إلى تل حمدون ووجدوها خالية، لأن الأرمن نزحوا إلى قلعة نجيمة، وعند استلائهم على تل حمدون أقام فيه الأمير "بكداش" حامية فيه.

كما بعث الأمير بلبان[1] بعض من عسكره، استولوا على مرعش، وقام الأمير "بكداش" بمهاجمة قلعة نجيمة التي اختبأ بها العديد من الأرمنيين، كل هذا ولم يكتف المماليك بهذه الانتصارات التي حققوها وقد قاموا بالاستلاء على عدة حصون أرمينية منها: نقير وحجر شعلان وسرفد كاروز نجفرةو حميص، وقام الأمير "بكداش" بتسليم هذه القلاع إلى "سيف الدين استدمر كرجي" أحد أمراء دمشق وتوليته نائبا عليها.

أما الملك "هيثوم" ملك أرمينية الصغرى فكان يطمح لمساندة المغول ضد المماليك، وقد استطاع أن يثير "غازان خان" حاكم المغول ضد سلطنة المماليك، فقد أرسل "غازان سلامش بن أفال" أحد رجاله ليستولي على بلاد الروم، ولكنه تمرد على سيده غازان، وأرسل إلى السلطان "لاجين" يطلب مساعدته على قتال "غازان"، فأكرمه "لاجين" وأمده بجيش كي يحضر به عائلته، لكنه وقع في يد غازان فقتله.

أيضا في عهد "حسام الدين لاجين" توجه المغول إلى الشام، وهو ما أراده "هيثوم الثاني" الذي شاركه الحملة المغولية 698هـ/1298م، في خمسة ألاف من رجاله، وقد هزم المماليك في مجمع المروج بين حمص وحماة، وقد شاركهم هذه الحملة ملك جورجيا، ووصلوا بذلك إلى الصالحة، وقد استطاع الملك "هيثوم الثاني" أن ينتقم من المماليك[2].

---

[1]- بلبان الطباخي: الأمير سيف الدين أحد المماليك المنصورية. انظر: المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص485.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص260 -265.

كما أسلم الملك المغولي غازان خان وتبعه القليل من المغول وقد تلقب بمعز الدين محمود مع الاحتفاظ بلقب المغولي خان، وحدث ذلك في مجلس كبير[1].

نستنتج من خلال هذه الدراسة أن العلاقة المملوكية الأرمينية اتسمت بطابع العدائية، كون هذه الأخيرة تحالفت مع المغول أثناء غزوهم للبلاد الإسلامية، وهو ما جعل المماليك يعتبرونهم من ألد أعدائهم.

[1]– عبد السلام عبد العزيز نهى: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف–القاهرة، ب.ط، 1981م، ص192.

المطلب الرابع: انعكاسات العلاقات المملوكية الأرمينية:

رفض المسلمون الاعتراف بالمكانة الجديدة التي حققها أمراء أرمينية الصغرى وتتويجهم ملوكا نهاية القرن 12م، ولم ينس المسلمون تحت سلطنة المماليك أن أرمينية الصغرى كانت خاضعة لهم في وقت مضى وذلك في عهد السلاجقة، وظهر عدم اعترافهم في عدم الإشارة إلى حكام أرمينية الصغرى عادة بلفظ "ملك" بل اختاروا له لفظ "متملك"[1]، وقد كان العداء بين دولة المماليك الإسلامية ومملكة أرمينية الإسلامية مرتبطا بالحروب الصليبية بشكل عام وقد استمرت الحروب بين مسلمين وأرمينية الصغرى[2]إلى غاية سقوط هذه الأخيرة، وكان لذلك أثار وانعكاسات سوآءا من الناحية السياسية أو الاقتصادية .

أولا / الانعكاسات السياسية (التحالف المغولي الصليبي):

هناك عوامل كثيرة جعلت سلاطين المماليك يعتبرون ملوك أرمينية أخبث قوم ومن أبرزها موقف أرمينية من تتار فارس فبمجرد ما أحسوا باقتراب التتار من منطقة الشرق الأدنى حتى رحبوا واعتمدوا عليهم في القضاء على الإسلام والمسلمين وهذا ما ترك أثر في قلوب المسلمين، ونظرا لكون مغول فارس وثنيين ساعدتهم زوجة هولاكو دوقوخاتون لكونها مسيحية نسطورية، وأيضا أمه سيورقوقيتي كانت نسطورية، وعمل هيثوم الأول ملك أرمينية أيضا على التحالف مع المغول لضرب العدو المشترك المتكون من المسلمين فذهب إلى بلاط الحاقان الأعظم، ولذا استقبل في قراقورم وقد حصل "هيثوم" على إعفاء الكنائس الأديرة الأرمينية داخل دولة المغول، كما عمل على تنفيذ خطته التي قامت أساسا على تكوين جبهة من المسحيين وكذلك من المغول ضد المسلمين، فقد اتصل بأمراء الصليبيين بالشام يدعوهم للمشاركة في مشروعه الكبير، ولم يستجب له سوى بوهيمند صاحب أنطاكية، ثم قام بتقديم ما استطاع من مساعدات حربية وغير حربية وقد يكون ذلك طلبا من المغول أنفسهم أو تطوعا منه وذلك كي ينتقم من عودة المسلمين .

زار الملك "هيثوم" ملك أرمينية الصغرى الوطن الأم أرمينية الكبرى وقد استقبله الأساقفة والأمراء وعامة الأهالي فقد كانت أول مرة يزور فيها أحد من ملوك أرمينية الصغرى الوطن الأم في الشرق، وقد واصل "هيثوم" وفاءه للمغول فقد قام بعدة زيارات لإلخانية المغول، ومن الملاحظ أنه عندما غزا[3]

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص238 ،239.

[2]– فايد حمادمحمد عاشور: المرجع السابق، ص 230.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص242 -244.

"هولاكو" العراق واستولى على بغداد 656هـ/1258م، حيث قضي على الخلافة العباسية فكان جيشه يضم نسبة من الأرمن وكانوا عنيفين في تصرفاتهم مع المسلمين، وبعد أ، انتهوا من أمر العراق أراد "هولاكو" غزو الشام فشاركه في ذلك ملك أرمينية الصغرى "هيثوم" في وضع خطة لاستلاء على الشام 657هـ/1259م، وقد أسروا من أهلها مئة ألف، وبيع بعضهم في أسواق أرمينية الصغرى، وقد قام "هيثوم" على إحراق جامع حلب أثناء غزوها، ثم ذهب بصحبة المغول إلى دمشق واستولوا عليها، وطلب من "كتبغا" قائد جيوش هولاكو إغلاق مساجد دمشق وتحويلها إلى كنائس ففعل ذلك مستفزا المسلمين .

وبعد "هيثوم" لم يتخلى الأرمن عن مساندة المغول وقد ساعدوهم كلما سمحت لهم الفرصة بذلك بما استطاعوا من قوة، ومنهم الملك "ليو الثالث" ملك أرمينية الصغرى الذي شارك مع مغول فارس غزواتهم لبلاد الشام في عهد السلطان "المنصور قلاوون الألفي"، وقد استطاع "هيثوم الثاني" أيضا تقديم ولائه "لغازان" ملك المغول الذي وعده أنه سيحمي له كل الكنائس المسيحية ووعده هو الآخر بمساعدته عسكريا.

ولعل هذه السياسة التي اتبعها الأرمن اتجاه المسلمين وهي إعانة المغول عليهم هي من جعلت العلاقة العدائية تزداد بين الدولتين، وقد وصف المسلمون الأرمن على أنهم أذناب لبيت "هولاكو".

يعتبر هذا التحالف المغولي الصليبي هو من استثار السلاطين المماليك وحرضهم ضد أرمينية الصغرى وملوكها، وجعلهم يهاجمونها من فترة إلى أخرى حتى قضوا عليها نهائيا سنة 1974م.

ثانيا / الانعكاسات الاقتصادية (فكرة الحصار الاقتصادي للمماليك):

ظهرت هذه الانعكاسات الاقتصادية في فترة الحروب القائمة بين الأرمن والمماليك، خاصة في عهد السلطان إسماعيل ابن السلطان الناصر (740-743هـ/1342-1345م) حيث شهدت تلك الفترة خراب أرمينية بسبب الصراعات على الحكم، فقد تعاقب على عرش تلك الدولة خمسة ملوك كانوا ينتمون إلى بيت لوزجان وهو البيت الحكم بقبرص، فقد نظر لهم الأرمينيين نظرة كراهية واعتبروهم دخلاء على بلادهم، فقرر السلطان "إسماعيل ابن الناصر محمد" أن يسامح الأرمن بنصف الخراج.

ساءت أحوال أرمينية الصغرى بعدما تدهور نشاطها التجاري، وأحوالها الاقتصادية وانصراف التجار عن ميناء إياس فأصبحت الطريق التجارية المارة من تبريز غير آمن مما أدى إلى عزوف التجار[1]

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ص245-246.

عن أرمينية وميناء إياس، وكذلك شهدت أرمينية الصغرى تدهور بسبب ضربات السلاجقة الروم المتواصلة طيلة القرن 13م[1].

وقد استطاعت قوة المماليك أن تطرد الصليبيين نهائيا من بلاد الشام، وأحس العالم الأوروبي بالإهانة وقامت دعاية ضد المماليك، قام بها رجال الدين ونادوا بأفكار عدة ومشاريع، رأوا فيها إمكانية استفادة الأراضي المقدسة، وذلك بعدة طرق، ومن بينهم وليم آدم الدبلوماسي البابوي وليم آدم الفرنسي، والذي قام برحلة إلى القسطنطينية ثم آسيا الصغرى ثم الشام ثم عاد إلى أوروبا، وكان يجمع العديد من الأفكار لمشروع إعداد حملة عسكرية صليبية لاستعادة الأراضي المقدسة من كتبه.

ومن أهم أفكاره التي ساهم بها في هذه الدعاية هي تكوين أسطول أوروبي تكون مهمته السيطرة على أهم موانئ البحر المتوسط ويرى ضرورة تحويل طرق التجارة لتكون في أيدي الأوروبيين بحيث تنقل بضائع الشرق عبر مضيق هرمز إلى الخليج الذي تسيطر عليه القوات المغولية ثم إلى نهر الفرات ومنه إلى موانئ دولة أرمينية (ميناء إياس)، وهذا ما يضمن حصار اقتصادي على دولة المماليك ، كما طرح وليم آدم فكرة أنه لو يمنع الأوروبيين الحج إلى البيت المقدسة لأن الدخل الذي يقدمه هؤلاء الحجاج يمثل دخلا مهما لدولة المماليك، كما شاركت أرمينية في تلك الدعوة عن طريق المؤرخ والمفكر الأمير "هيثوم أف كوريكوس"[2].

ولا يمكن اعتبار هذه فكرة الحصار الاقتصادي لدولة المماليك، أقل خطورة من التحالف مع مغول فارس في إنشاء حملة مشتركة، وقد كان المماليك يحتكرون الجزء الأكبر من النشاط التجاري بين الشرق والغرب، فعدم الاستقرار هدد التجارة البحرية عبر أسيا الأمر الذي أدى إلى انتعاش تجارة البحر الأحمر ومصر، وهو الطريق الوحيد الذي بقي بعيدا عن سيطرة المغول التي قامت بتنشيط التجارة في بلادها، ولجأ غزان إلى تأمين الطرق التجارية وتخفيض الضرائب وهذا ما أدى إلى انتعاش طريق تبريز (أرمينية الصغرى) حيث أصبح ميناء إياس على البحر المتوسط مركزا تجاريا واسعا، وقد أحس السلاطين المماليك بمنافسة ميناء إياس ومملكة أرمينية لهم وهذا بعدما قام ملوك أرمينية الصغرى إلى تخفيض الضريبة المفروضة على البضائع المارة غلى بلادهم، وهذا ما أدى بتجار جنوة والبندقية وبيزا ومرسليا وغيرهم من تجار الغرب الأوروبي يتوجهون إلى ميناء إياس في أرمينية[3].

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص275.

[2]– محمود سعيد عمران: المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، ص ص274-278.

[3]– عزمي عبد محمد أبو عليان: المرجع السابق، ص190.

وقد لجأت البابوية بعد سقوط عكا و طرد بقايا الصليبيين من الشام في أواخر القرن الثالث عشر ميلادي إلى محاولة فرض حصار اقتصادي على مصر، و إصدار المراسيم البابوية لمنع التجار الأوربيين من اللجوء إلى موانئ مصر والشام، ولم يبقى أمام التجار إلا ميناء إياس بأرمينية الصغرى، و لكن كثير من التجار الإيطاليين لم يلزموا بهذه المراسيم و استمروا في ممارسة التجارة مع مصر، لكن التسهيلات التي قامت بها أرمينية الصغرى قد أثرت كثيرا في الوضع الاقتصادي للمماليك ولجأت دولة أرمينية إلي شل التجارة البرية الواصلة من آسيا إلى مصر[1].

[1]– عزمي عبد محمد أبو عليان: المرجع السابق، ص190.

الخاتمة

من خلال دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من النتائج:

– إن معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة في التاريخ العربي والإسلامي ترتب عليها نتائج مهمة أهمها ظهور دولة المماليك قوية أمام باقي دول العالم، وكذلك لقي المغول لأول مرة في تاريخهم هزيمة حاسمة وبعدها ازداد صيت الجيش المملوكي، وقد مهدت هذه المعركة لسلسلة من الغزوات ضد الصليبيين وغيرهم.

– تعتبر مملكة أرمينية الصغرى من أثارت اهتمام الباحثين نظرا لقدرتها على الصمود والبقاء رغم عدة ظروف أحاطت بها، إذ لعبت دورا كبيرا باعتبارها تتوسط إمبراطوريات قوية ومتنافسة كما فتحت مملكة أرمينية من طرف العرب عبر ثلاث عهود، في عهد الخلفاء الراشدين وفي عهد الدولة الأموية، وكذا في عهد الدولة العباسية وهذا ما دل على وجود علاقات عربية أرمينية قبيل ظهور سلطنة المماليك.

– تميزت العلاقة المملوكية الأرمينية بالعداء وكان هناك صراع عسكري مرير بين الدولتين، نتيجة لحقد المسلمين العرب على مملكة أرمينية الصغرى وملكها "هيثوم" الذي تحالف مع المغول في غزو العرب الذين شهدوا خسائر بشرية ومادية كبيرة.

– قيام عدة حملات عسكرية من طرف المماليك على مملكة أرمينية الصغرى في عهد الظاهر بيبرس، لأن الأرمن واصلوا التماس الحماية من المغول، ومن بين الحملات التي جرت في عهد الملك الظاهر حملة سنة 665هـ/ 1267م والتي هزم فيها الجيش الأرميني، وحملة 676هـ/ 1277م والتي استولى فيها على عدة مناطق أرمينية.

– توطيد العلاقات الأرمينية مع المغول لاحتياج الأرمن للحماية في عهد حسام الدين لاجين نتج عنه خروج حملة سنة 697هـ/1298م استولوا فيها على سيس.

– استمرار العداوة بين الدولة المملوكية ومملكة أرمينية الصغرى في عهد أسرة قلاوون، فقد هاجمت أرمينية الصغرى المماليك واحتلت عدة مناطق من بينها: عينتاب وبغراس وحلب سنة 677هـ/1280م، ففي عهد قلاوون الألفي اضطر إلى مهادنة الأرمن، كما اتسمت العلاقة في عهده بالسلم.

– رد الحملة بحملة عسكرية أخرى سنة 690هـ/ 1291م في عهد الأشرف، كما استمرت العداوة في عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي هزم الناصر أمام التحالف المغولي الأرميني 705هـ، وهذا ما أدى إلى سيطرة جزئية للمماليك على أرمينية انتقاما منها.

– تدهور أحوال أرمينية الصغرى في عهد الأشرف شعبان بن حسين 764هـ-778هـ، نظرا للغزوات المتعددة التي شهدتها أرمينية من طرف المماليك فقد اسر الملك الأرميني ليو السادس 779هـ/ 1375م، وقد أعتبر ذلك سقوط لمملكة أرمينية الصغرى وبذلك حقق المماليك انتصارهم وانتقامهم من الأرمن الذين اعتبروهم ألد أعدائهم.

– ظهور انعكاسات سياسية واقتصادية نتيجة توتر العلاقات بين دولة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى، الانعكاسات السياسية تمثلت في تعامل ملوك أرمينية وتحالفهم مع المغول وعدة: أطراف مسيحية أخرى، أما الانعكاسات الاقتصادية تمثلت في فكرة الحصار الاقتصادي للمماليك، وهو ما شكل خطورة تهدد بانهيار الاقتصاد المملوكي.

الملاحق

ملحق السلاطين

ملحق رقم 2:

سلاطين الدولة البحرية[1]:

- شجرة الدّر 1250 م.
- المعز عز الدين أيبك 1250م.
- المنصور نور الدين علي أيبك 1257م.
- المظفر سيف الدين قطز 1259م.
- الظاهر ركن الدين بيبرس الب ندقداري1260م.
- السعيد ناصر الدين محمد بركه خان بيبرس 1279م.
- العادل بدر الدين سلامشا بن بيبرس 1279م.
- المنصور سيف الدين قلاوون 1289م.
- الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون 1290م.
- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون 1293م.
- العادل زين الدين كتبغا 1294م.
- المنصور حسام الدين لاجين 1296م.
- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون(للمرة2) 1298م.
- المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير 1308م.
- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون(للمرة3) 1309م.
- المنصور سيف الدين أبوبكر الناصر محمد بن قلاوون 1341م.
- الأشرف علاء الدين كجك بنالناصر محمد بن قلاوون 1341م.
- الناصر شهاب الدين أحمد بنالناصر محمد بن قلاوون 1342م.
- الصالح عماد الدين اسماعيل بنالناصر محمد بن قلاوون 1342م.
- الكامل سيف الدين شعبان بنالناصر محمد بن قلاوون 1345م.

[1]-–السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص267.

- المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون 1346م.
-الناصر ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون 1347م.
- الصالح صالح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون 1351م.
- الناصر ناصر الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون (للمرة الثانية) 1354م.
- المنصور صالح الدين محمد بن سيف الدين حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون 1362م.
- الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون 1363م.
- المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون 1376م.
- الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون 1381م.[1]

[1]-السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص268.

ملحق رقم 4:

سلاطين الدولة البرجية[1]:

- الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق 1382م.
- حاجي بن شعبان 1388م.
- برقوق (للمرة الثانية) 1389م.
- فرج بن برقوق 1398م.
- عبد العزيز بن برقوق 1405م.
- فرج بن برقوق (للمرة الثانية) 1405م.
- الخليفة المستعين العباسي 1412م.
- المؤيد أبو النصر شيخ 1412م.
- أحمد بن شيخ 1421م.
- ططر1421م.
- محمد بن ططر1421م.
- الأشرف برسباي 1422م.
- يوسف بن برسباي 1437م.
- جقمق1438م.
- عثمان بن جقمق1453م.
- اينال1453م.
- أحمد بن اينال1460م.
- خشقدم1460م.
- بلباي المؤيدي 1467م.
- تمربغا 1468م.
- الأشرف قايتباي1468م.
- محمد بن قايتباي1496م.

[1]- السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص 268، 269.

-قانصوه خمسمائة 1497م.

- محمد بن قايتباي (للمرة الثانية) 1497م.

-قانصوهالأشرفي1498م.

-جانبلاط1500م.

-طومان باي الأول 1501م.

-قانصوه الغوري 1501م.

-طومان باي الثاني 1516-1517م.[1]

[1]-السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص269.

ملحق الرسائل

ملحق رقم 3:

مضمون الكتاب:

" جواب هلاكو إلى قطز":

" إلى المظفر قطز الذي هو من جنس تركي، الذين هربوا من سيوفنا إننا جند الله في أرضه خلقنا من سخطه فسلموا إلينا تسلموا من قبل أن تندموا وقد سمعتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد فلكم من الهرب ولا منكم الطلب، فمن طلب حربنا ندم ومن قصد أمتنا سلم فإن أنتم لأمرنا أطعتم فلكم مالنا ولنا مالكم، وإن خلفتم هلكتم أنفسكم بأيديكم فقد أعذر من أنذر فعجلوا بالجواب قبل أن نضرب الحرب بنارها وترميكم بشرارها، فما بقي لنا سواكم والسلام "[1].

[1]–أحمد بن يوسف القرماني: مج2، المصدر السابق، ص269.

ملحق رقم 5:

محتوى الرسالة:

"من هلاكو إلى سيف الدين قطز":

" باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتمتعون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكاته بالديار المصرية وما حولها من أعمال أنا نحن جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطن على من حل به غضبه فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم وأسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى وقد سمعتم أننا قد طهرنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب فأي أرض تأويكم وأي طريق تنجيكم ...

فما بقي لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشي عواقب الردي وأطاع الملك الأعلى "[1].

[1]–العبادي: المرجع السابق، ص ص237، 238.

ملحق رقم 7:

محتوى الرسالة:

رسالة الأشرف خليل بن قلاوون الألفي إلى ملك أرمينية الملك أرجون سرمان:

"نعلم الملك أرجون سرمان وفقه الله في سره و جهره وجعله ممن يتقي المصيبة في أهل ملته إذا عجز أن يلتقيها بصدره ، أما بعد فإننا قد فتحنا عكا التي هي دين الصليب وفي هذا الأحد القريب فلو رأيت خندقها العميق مردودا وكل برج كان بها منيعا قد عاد مهدوما، وفرسانها في خنادقها جاثية قد أصبح و بسيوفنا صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية، ولما أحاط بها السور أظهروا الجلادة في القتال ورموا بالمجانيق و النبال وحسبوا أن بأسهمهم يصونوهم أن ما منعتهم حصونهم، فما نفعهم الحديد ولا كثرة العد والعديد، لما قومنا لهم كل سنان وجاءهم الموت من كل مكان، أشرفنا عليهم من الأسوار أحطنا بهم كما يحيط بالزند السوار، فولوا من بين أيدينا منهزمين أصبحوا على ما فعلوا نادمين، فكل منهم يرى أسيرا أو طريحا لما دمرناهم وديارهم تدميرا ، أما الديوية فما منعهم طارقة ولا جنوية ، و أما الاستتار فقد أفناهم سيفنا البتار ، وأما الزنادقة و البنادقة ألقوا بأنفسهم في البحر لما رأوا حملاتنا الصادقة ، وأنت أيضا أيها الملك إن لم تعتبر بعكا لأنكيناك على أقصى وجودك وتندم ندامة أهل عكا حيث لا نفعهم الندم ، وتصبح بعد الوجود في العدم فتحمل القطعيتين الأولى و الثانية ، وتحضر بنفسك إلى أبوابنا العالية ، وإن خالفت و أطعت إبليس ستحزن على أهل سيس ويكون رأيك على نفسك وبيس، فكل منكم يقل: لم يبقى بعد عكا سوى أنا ، فانجوا بأنفسك قبل أن تقع في الويل و العناء وأفهم هذا الكلام و السلام"[1].

[1]– عزمي عبد محمد أو عليان: المرجع السابق، ص190.

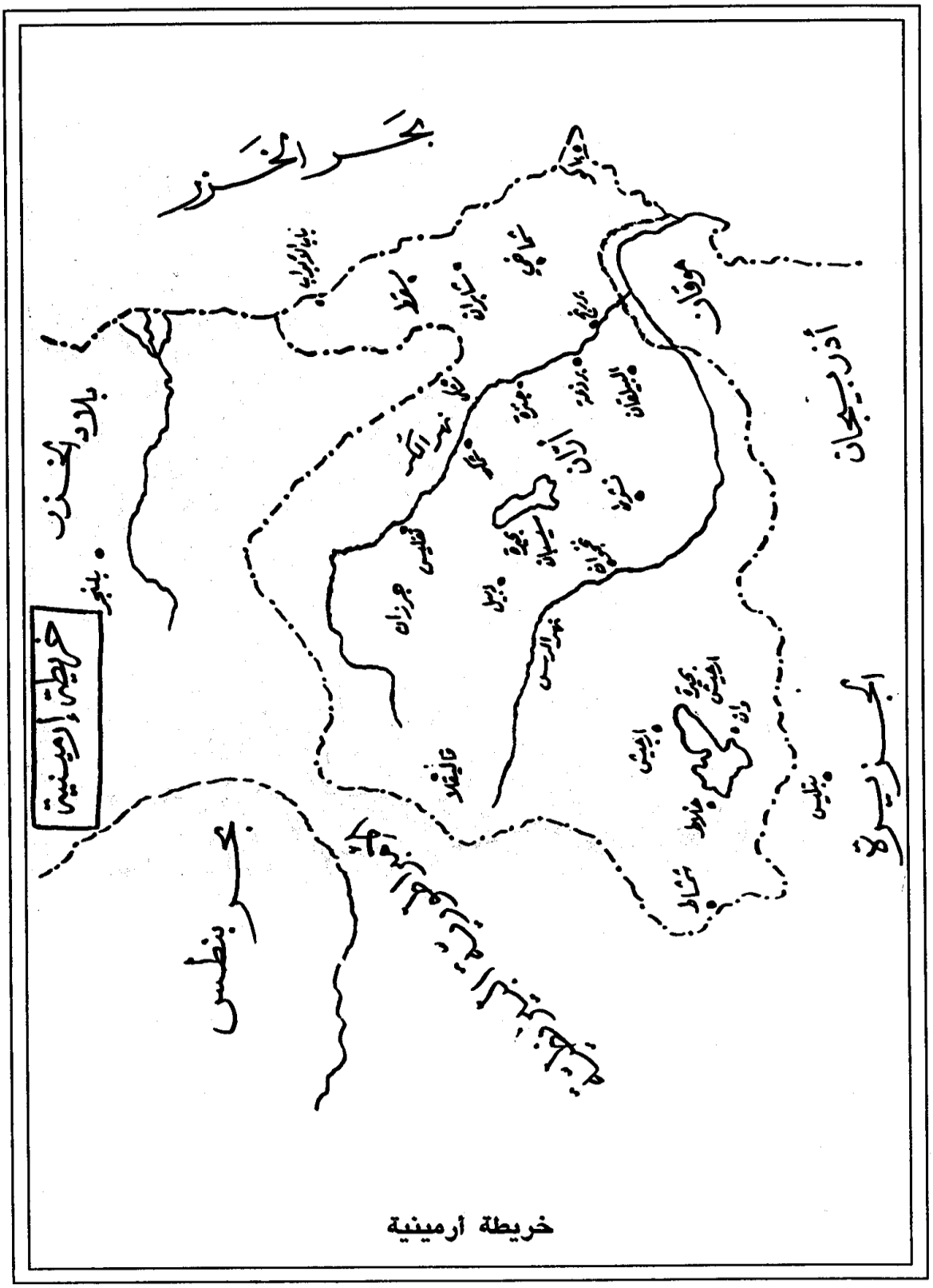
الخرائط

ملحق رقم 1:



سعيد عبد الفتاح عاشور: (العصر المملوكي في مصر والشام)، ،ص265.

ملحق رقم 6:



محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص23.

البيبليوغرافيا

* **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

– المصادر:

1- ابن الأثير أبي الحسن علي : الكامل في التاريخ، مج2 ،تح : أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،ط1 1407 هـ/1987م.

2- ابن العراقي ولي الدين (ت862) :الذيل على العبر في خبر من غبر، ج1، تح: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ب.ط، ب.س .

3- ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 ، تح : محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية القاهر، ط1 1395هـ /1975م.

4- ابن حوقل : صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت– لبنان، ب.ط، 1996م.

5- ابن خرداذبة أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك، مطبعة بريل، ب.ط، 1779م.

6- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج5، دار الفكر بيروت – لبنان، ب.ط، 1421هـ/2000م.

7- ابن عماد شهاب الدين : شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج7، تح : محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير دمشق– بيروت، ط1 1416هـ/1991م.

8- ابن واصل جمال الدين محمد (ت697) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3 ، تح: د/جمال الدين الشياك، ب.د، ب.ط، ب.س.

9- أبي الفداء عماد الدين : المختصر في أخبار البشر،ج4، مطبعة الحسينية المصرية، ط1 ، ب.س.

10-أبي المحاسن جمال الدين بن ثغري بودي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ج11، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 1413هـ/1992م.

11- البلاذري أبي العباس أحمد بن يحي : فتوح البلدان، طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر،ط1 1319هـ/1901م.

12- الترمانيني عبد السلام : أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ج1 ،ج3 ، ج4 دمشق دار طلاس،ط1 1414هـ/1994م.

13- تقي الدين المقريزي : المقفى الكبير، ج2، تح : محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي بيوت– لبنان، ط1 1411هـ/1991.

14-الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، مج1، مج2، مج3، مج 4، مج 5، مج 6، دار صادر بيروت، ب.ط، 1397هـ/ 1977م.

15-الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1 1975م.

16-خانجي القس انطوان: مختصر تواريخ الأرمن، طبع باورشليم، ب.ط، 1868م.

17-الدواراري أبي بكر بن عبد الله بن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر "الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة"، ج2، تح: إدوارد بدين، بيروت، ب.ط، 1414هـ/1994م.

18-العمري شهاب الدين أحمد (ت749): التعريف بمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1 1988م.

19-العيني بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، تح: محمود رزق، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، ب.ط، 1431هـ/2010م.

20-القرماني أحمد بن يوسف: أخبار الدول وأثار الأول، مج2، مج3، تح: أحمدحطيط وفهمي سعد، بيروت، ط1 1416هـ/1996م.

21-القزويني زكرياء بن محمد بن محمود: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ب.ط.

22-القلقشندي الشيخ ابن العباس أحمد: صبح الأعشى، مج8، مج4، دار الكتب الخديوية طبع بالمطبعة الأميرة بالقاهرة، ب.ط، 1322هـ /1914م.

23-المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، ط1906م2.

24-المقريزي أحمد بن علي (ت845): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة-دمشق، ب.ط،1995م.

25-المقريزي تقي الدين: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، مكتبة الإسكندرية-شركة الأمل للطباعة والنشر، ب.ط، ب.س.

26-المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ج3، ج4، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 1418هـ /1997م.

27-النويري شهاب الدين أحمد (ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج8، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ب.ط، ب.س.

- المراجع:

1-أبو عليان عزمي عبد محمد: مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، دار النفائس للنشر والتوزيع-الأردن، ط1 14 15هـ/1995م.

2-أنطاكي محمد: معركة عين جالوت (658هـ/1260)، دار الشرق العربي-بيروت، ب.ط، 1998م.

3-البعلبكي منير: معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، ط1992 1م.

4-الجهماني يوسف ابراهيم: تركيا والأرمن، دار دوران للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 2001م.

5-الحجي حياة ناصر: صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم كوني، ط1412 1هـ/1992م.

6-حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، 2000م.

7-خطاب محمد شيت: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار بن حزم، ط1 1419هـ/1998م.

8-دهمان محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، ط1410 1هـ/1990م.

9-دياب صابر محمد: المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزيرة والشامية خلال القرن 4هـ، مكتبة السلام العالمية، ب.ط، 1404هـ/1984م.

10-زكي عبد الرحمن: الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي حتى المنصورة، مكتبة أنجلو القاهرة-مصر، مطبعة الكبلاتي، ب.ط.

11-زيادة نقولا: دمشق في المماليك، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت-نيويورك، ب.ط، 1966م.

12-سليم أحمد أمين: تاريخ العراق-إيران — آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، 2000م.

13-سليمان أحمد عبد الكريم: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 1985م.

14-السيد حكيم أمين عبد: قيام دولة المماليك الثانية، تق: مصطفي زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ب.ط، 1966م.

15-السير وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، تح: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1 1415هـ/1995م.

16-الشاعر محمد فتحي: مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، ب.ط، ب.س.

17-الشامي أحمد: صلاح الدين الأيوبي والصليبيين، مكتبة النهضة العربية، ط1 1991م.

18-الصلابي علي محمد محمد: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، مركز السلام، ط1 1430هـ/ 2009م.

19-الصّياد فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، ج، دار النهضة العربية-بيروت، ب.ط، 1980م،

20-طقوش محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر والشام (648-923هـ/1250-1517م)، دار النفائس، ط1 1418هـ /1997م.

21-عاشور سعيد عبد الفتاح: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد البحري-بيروت، ب.ط،1977م.

22-عاشور سعبد عبد الفتاح: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية-القاهرة، ط1 1996م.

23-عاشور سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2 1976م.

24-عاشور فياد حماد محمد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس برس، ط1 1415هـ/ 1995م.

25-العبادي أحمد مختار: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية -بيروت، ب.ط، 1995م.

26-عبد العظيم محمد: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط12001م.

27-العريني السيد الباز: المماليك-الفروسية في مصر في عهد المماليك السلاطين 1250م -1518م، دار النهضة العربية-بيروت، ب.ط.

28-عز الدين محمد بن شداد: تاريخ الملك الظاهر، دار فرانز سانرنقبسيادن-بيروت، ب.ط، 1403هـ/1983م.

29-عزازيان المهندس هوري: الجاليات الأرمينية في البلاد العربية (لبنان- العراق- فلسطين- الأردن- مصر)، دار حوار للنشر والتوزيع، ط1 1993م/2000م.

30-عمران محمود سعيد: المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، ب.ط.

31-عودات أحمد وبيضوان جميل وشحاذة الناطور: تاريخ المغول والمماليك من ق 7هـ إلى 13هـ، دار الكندي اربد، ب.ط، ب.س.

32-عودةمحمد عبد الله عودة وحكمت خطيب وإبراهيم ياسين خطيب: مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.س.

33-فرحات هدى: قصة وتاريخ الحضارة العربية (العراق-الأردن)، Edito creps.int 1998-1999م.

34-قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي)، عين الدراسات والنشر، ط$_1$ 1998م.

35-قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيون والمماليك، عين الدراسات والنشر، ط2009م

36-قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي: الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ب.ط، ب.س.

37-كحالة عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج$_2$، مؤسسة الرسالة-بيروت، ب.ط، ب.س.

38-كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تح: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط$_2$ 1985م.

39-ماجدنور عبد المنعم: الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، ب.ط،1418هـ/ 1997م.

40-محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط$_2$ 1402هـ/1982م.

41-المدور مروان: الأرمن عبر التاريخ، منشورات، منشورات دار نوبل دمشق-سوريا، ط$_2$.

42-مصطفى نادية محمود: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الثانية(642-923هـ/1258-1517م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-القاهرة، ط$_1$ 1996.

43-المكين جرجس بن العميد: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، ب.ط، ب.س.

44-نهى عبد السلام عبد العزيز: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف-القاهرة، ب.ط، 1981م.

45-الهاشمي عبد المنعم: موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي"،و "عصر المماليك والعثمانيون" دار ومكتبة الهلال- بيروت،ط1 2006م.

– المعاجم:

1-ابن المنظور: لسان العرب، مج5، مج10، دار صادر بيروت، ب.ط، ب.س.

2-الزبيدي محمد مرتضى الحسني: تاج العروس، مج26، تح: عبد الكريم العرباوي، مطبعة الحكومة، ب.ط، 1410هـ/1990م.

3-معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4 1425هـ/2004م.

– المذكرات:

1-الغامدي عبد الله سعيد محمد: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام النصف الثاني من القرن السابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف محمد حمري المناوي، الدراسات العليا التاريخية-جامعة القرى، ب.ط، 1406هـ/1986م.



الفهارس

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الاعلام:

(أ – ي)

أباغا خان : 57.

أبو جعفر المنصور : 48 .

أحمد بن أويس: 26 .

أربيل: 35 .

أرمن قومس ياسور : 35 .

أرمناقس:35 .

إسماعيل إبن الناصر :68 .

أسيد السلمي :49 .

الأشرف شعبان بن حسين : 26،62 .

إشقتمرالماردي : 62 .

أقطاي:21،24 .

أومر بن يافث:34 .

بدر الدين بكداش الفخري : 59،60،65 .

بدر الدين لؤلؤ: 21 .

برقوق فرج: 17،26،27 .

بلبان الطباخي : 65 .

بلقان: 35 .

بيبرس البندقداري: 20،21،24،53،55 .

تغاي تمر : 63 .

تمريغا : 16 .

تنكز الحسامي : 61 .

تورنشاه : 20،21،24 .

تيمورلنك: 26،30،27 .

ثوروس : 54،58 .

حبيب بن مسلمة الفهري: 47 .

حسام الدين لاجين: 65،59 .

خشقدم: 16 .

دوقو خاتون : 67 .

ستفن الرابع :58 .

سراقة بن عمروا : 46 .

سلمان بن ربيعة الباهلي : 46 .

سليمان بن قتلمس : 53 .

سمباد : 58 .

سيف الدين قشتمر: 59 .

سيف الدين قطز المعزي : 21،24،28،59 .

سيورقوقيتي : 67 .

شجرة الدر: 20،21،22 .

شرف الدين موسى بن محمد الكردي :63،63 .

شركس: 16 .فليب الخامس : 61 .

شمس الدين أقسنقرالفارقاني : 54،65 .

الصالح إسماعيل: 19 .

صفوان بن معطي :39 .

صلاح الدين الأيوبي :10،11،20 .

صلاح الدين يوسف :23 .

الظاهر غازي : 10 .

العادل زين الدين كتبغا: 59 .

عبد الرحمان بن ربيعة الباهلي :46 .

عبد الملك بن مروان :47 .

عثمان بن أبي العاص:46 .

عثمان بن عفان:46 .

عز الدين أوغان :54 .

عز الدين أيبيك التركماني الصالحي :22 .

المتوكل على الله : 26،49 .

عمر بن الخطاب: 46 .

عياض بن غنم الفهري : 45 .

غازان : 66،59،56،69 .

فخر الدين يوسف: 20،53،60.

قسطنطين البطريرك الأرميني : 61،58.

قشتمر : 59،60 .

قلاوون الألفي : 16،26،54،58 .

كتبغا:24 ،28 .

كنظر بن يافث بن نوح: 36 .

كيسرو الأول: 10 .

لويس التاسع : 20،21 .

ليو الأول: 11 .

ليو الثالث : 54،57 .

ليو الثاني : 10،68 .

ليو الخامس : 60،61 .

ليو الرابع: 60 .

ليو السادس : 62 .

ماتوس الرابع فيلرتوس : 9 .

الواثق بالله: 26.

محمد الناصر بن قلاوون : 16،58،60،59 .

مروان بن محمد: 47 .

المستعين بالله: 27 .

المستنصر بالله أبا جعفر : 21 .

المنصور إبراهيم: 19 .

المنصور الثاني محمد :54 .

منطاس: 26 .

منكو: 28 .

منكوتمر : 57 .

نجم الدين أيوب: 14،16،19،24 .

نفقورفوقاس :8.

نوح : 34 .

هشام بن عبد الملك :47 .

هولاكو:23 ،28،30،31،53 .

هيثوم الأول: 54 .

هيثوم الثالث: 57،67،68 .

هيثوم الثاني: 58 .

ورثان: 35 .

الوليد بن عقبة : 46 .

وليم آدم: 69 .

يحنا الثاني :60 .

فهرس الأماكن

(أ – هـ)

أذربيجان : 37،38،39.

أران: 34،35.

أرجيش: 35.

أردن: 29

أرمية : 25.

أرمينية: 8،10،34،55.

أسوان : 25 .

آسيا : 8 ،10،37،38،34،45.

آشور: 37.

أمسيرة : 25 .

أنطاكيا : 9،10،45.

إيران: 31.

باجينس: 34 .

برذعة: 34.

بسفرجان: 34 ،35.

بغداد: 18 ،21،26،31،53.

بغراس: 54.

بغروند: 35.

بلاد الروم: 8،9،34،35.

بندقية : 63 .

سند:5.

سيس:61،69.

سيسجان: 34،35.

بيسان : 24 .

تبريز: 96 .

تركيا: 30 .

تفليس: 34،42.

جرزان: 34،35، 47،50.

جزيرة الروضة: 21.

جزيرة ميكائيل: 25.

حجاز: 14 .

حلب: 10،24،25،27،60.

خلاط: 35،34،36،49.

خوى: 36.

دبيل : 34،35.

دربساك: 10 ،54،57.

دمشق: 21،24،25،26،27،28،29.

دمياط : 21 .

دندال: 25 .

رها: 9 .

سراج طير: 36 ،35.

سريان:34.

سلماس: 36.

قبرص : 6

قراقوم: 28 .

قفجاق: 16 ،31.

الشام : 53،31،30،29،28،27،23،21،19،14،10،8.

شمشاط: 35.

صرخد : 26 .

صغدبيل: 34 .

طرسوس : 34.

طمد: 25 .

عراق: 8 ،57،36.

عرقوس: 10.

عكا:ص70.

عين جالوت: 24 ،30،29،28.

عينتاب: 57 .

غزة : 20 .

فارسكور : 21 .

فسفاط: 25.

فلسطين: 30،28.

فورات: 8 .نوبة: 25 .

قاهرة: 17 ،27،26،24.

قباذ: 34 .

قبة الصخرة : 19.

قليقية : 8، 9 ،36،35،34.

قوقاز : 16 .

كرج: 53 .

كرك : 26 .

كور: 35.

لكز: 34 .

مرعش: 10.

مصر: 31،28،30،،24،23،21،20،19،17،14.

مصيصة: 8 ،53،55،9.

ملطية: 9.

منصورة: 21،20 .

نابلس : 28 .

نشوى: 35،34.

نهر الرس : 43،37.

نهر الكر : 37.

الهند: 57.

فهرس الموضوعات :

شكر وعرفان.....

إهداء.....

قائمة المختصرات.....

مقدمة.....ص أ- هـ.

مدخل : العلاقات الأرمينية العربية قبل ظهور المماليك.....ص7-10.

علاقة الأرمن بالسلاجقة .....ص8- 9.

علاقة الأرمن بالأيوبيين.....ص10.

المبحث الأول: دولة المماليك.....ص11-31.

1- أصل المماليك.....ص13-17.

أ- تعريف المماليك .....ص13-14.

ب- تربيتهم وتدريبهم .....ص15.

ج- أقسام المماليك .....ص15-17.

2- تأسيس دولة المماليك.....ص18-27.

أ- ظروف قيام دولة المماليك .....ص18-21.

ب- قيام دولة المماليك .....ص21-27.

3- التصدي للخطر المغولي (معركة عين جالوت).....ص28-31.

أ- أسباب المعركة .....ص28.

ب- معركة عين جالوت .....ص29.

ج- نتائج معركة عين جالوت.....ص30-31.

المبحث الثاني:الدولة الأرمينية.....ص32-48.

1- تعريف الأرمن.....ص33-39.

أ- أصل تسمية الأرمن.....ص33-35.

ب- الموقع والحدود.....ص35- 38.

ج- أهم الصفات والخصائص.....ص38-39.

2- أصل الأرمن.....ص40-42.

أ- أهم الروايات حول الأصل الأرميني .....ص40-41.

ب- سكان الأرمن (المجتمع الأرميني).....ص41-42.

ج- مميزات الأرمنيين.....ص42.

3- الفتح الإسلامي لبلاد الأرمن.....ص43-48.

أ- في عهد الخلفاء الراشدين.....ص43-45.

ب- في عهد الدولة الأموية.....ص45-46.

ج- في عهد الدولة العباسية.....ص46-48.

المبحث الثالث:العلاقات السياسية المملوكية الأرمينية وانعكاساتها.....ص50-68.

1- العلاقات في عهد الظاهر بيبرس.....ص51-54.

2- العلاقات في عهد أسرة قلاوون الألفي .....ص55-62.

أ- في عهد السلطان قلاوون الألفي.....ص55-56.

ب- في عهد الأشرف خليل بن قلاوون.....ص56.

ج- في عهد الناصر محمد بن قلاوون الثانية.....ص57-60.

د- في عهد الأشرف شعبان بن حسين.....ص60-62.

3- العلاقات في عهد حسام الدين لاجين .....ص63-64.

4- الانعكاسات الاقتصادية السياسية .....ص65-68.

أ- الانعكاسات السياسية (التحالف المغولي) .....ص65-66.

ب- الانعكاسات الإقتصادية .....ص66-68.
خاتمة.....ص69-71.
قائمة الملاحق.....ص72-84.
قائمة الببليوغرافيا.....ص85-93.
أ- المصادر.....ص86-88.
ب- المراجع.....ص89-92.
ج- المعاجم.....ص93.
د- المذكرات.....ص93.
الفهارس.....ص94-102.
أ- فهرس الاعلام.....ص96-98.
ب- فهرس الاماكن.....ص99-100.
ج- فهرس الموضوعات.....ص101-102